(٤) النفق الإسرائيلى [١]

الخطبة الأولى :

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

فى الجمعة الماضية كنت فى مدينة (قونيه) بتركيا، للمشاركة فى مؤتمر عن فقه التجارة الإسلامية ومشاكلها الحديثة .

بدأ هذا المؤتمر يوم الأربعاء، وعشت يوم الأربعاء والخميس فى مشاعر طيبة، فى هذه المدينة التى كانت عاصمة لدولة (السلاجقة)، وكان لها دورها فى عهد العثمانين، وكان لها موقفها المتميز فى مقاومة الردة الكمالية الأتاتوركية، وسقط منها الشهداء وراء الشهداء .

فى هذه المدينة عقد هذا المؤتمر، ورأيت العلمانية التى حكمت تركيا نحو السبعين عامًا ، لم تستطع أن تقتلع جذور الإسلام من نفسية الشعب التركى .

هنالك الآلاف وعشرات الآلاف من المدارس القرآنية، وهناك عشرات المعاهد للأئمة والخطباء، وهناك كليات الإلهيات التى خرجت جيلاً جديداً من علماء الشريعة رأيتهم فى هذا المؤتمر. رأيت حشداً من رجال الفقه تخرجوا فى هذه الكليات التى لم يسموها كليات (الشريعة) أو (أصول الدين)، وإنما سموها باسم أشبه بما يسميه النصارى، كليات (اللاهوت)، وهو كليات : (الإلهيات) .

رأيت فى هذا المؤتمر التوجه الإسلامى الجديد فى تركيا . تركيا التى أوصلت حزبًا إسلاميًا إلى سدة الحكم، وإن لم يكن له أغلبية مطلقة . ولكنها مؤشر ورمز إلى هذا التوجه الجديد للشعب التركى .

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بجامع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالدوحة فى ٢١ / ٥ / ١٤١٧ هـ الموافق ٤ / ١٠ / ١٩٩٦م.

قام هذا المؤتمر بتعاون من كلية الإلهيات والوقف الإسلامى فى مدينة (قونية) مع بعض الشركات الكبرى التى تحاول أن تكيف أنشطتها ومعاملاتها وفق شرع الله عز وجل.

عشت مشاعر طيبة فى يومى الأربعاء والخميس، وفى يوم الجمعة وفى مثل هذا الوقت كنا نصلى الجمعة، وفى أواخر صلاتنا سمعت تكبيرات تدوى تبلغ عنان السماء: الله أكبر .. الله أكبر.. فما إن فرغنا من الصلاة حتى سألت الإخوة الأتراك: ما الذى يجرى؟ ما هذا التكبير؟ قالوا: هذه مسيرات يقوم بها الإسلاميون فى هذا البلد تعبيراً عن تضامنهم مع الإخوة الفلسطينيين.

قلت: وماذا حدث من جديد للإخوة الفسلطينيين؟ فنحن فى بلد لا نستطيع أن نقرأ الصحف ولا أن نتابع فيه النشرات فى الإذاعة أو التلفاز، فلم نعرف عما جرى شيئًا.

قالوا: إنه احتجاج على من سقط من الضحايا والشهداء فى القدس وفى الضفة الغربية وفى غزة، وقد سقط نحو خمسين شهيدا، ومئات من الجرحى! قلت: من أجل ماذا؟ قالوا: من أجل النفق الذى صنعته إسرائيل تحت المسجد الأقصى.

هنالك ثار أبناء فلسطين الأبطال احتجاجًا على هذه العملية العدوانية، ودفاعا عن مقدساتهم، دفاعا عن مسجدهم الأقصى، دفاعا عن أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، دفاعا عن أرض الإسراء والمعراج، دفاعا عن هذه المقدسات. قاوم شباب وشابات .. رجال ونساء .. أطفال وشيوخ، قاوموا بصدورهم رصاص العدو الحى الذى يخترق الصدور، فلم يبالوا به، لأنهم يذودون عن حرمات مقدسة، تهون من أجلها الدماء، وترخص من أجلها الأرواح، ويهون من أجلها كل تضحية ما دامت فى سبيل الله.

لم تطل المشاعر الطيبة السعيدة التى سعدت بها خلال يومى الأربعاء والخميس، حتى داهمتنا هذه الكارثة الجديدة.

إنها تدل على ما أكدناه دائماً ونؤكده أبداً: أن اليهود هم اليهود، والصهاينة هم الصهاينة، وأن مخططهم لا يزال قائما، وأن اتفاق (أوسلو) الذى حدث ليس له وزن ولا قيمة، وقد عارضناه من فوق هذا المنبر، وقلنا: إنه ليس سلام الشجعان، إنه سلام الأقوياء والضعفاء، سلام القط والفأر، سلام الأسد والغزال، سلام الذئب والحمل:

تكلم السيف فاسكت أيها القلم تحكّم الذئب فاخضع أيها الحَمَلَ!

ليس هذا هو السلام الذى نريد، أنه الاستسلام، إما أن تخضع وتحنى رأسك، وتطأطئ ظهرك لما تريده إسرائيل وما تنويه إسرائيل، وإلا فالويل كل الويل لك، الجيش بالمرصاد، والشرطة بالمرصاد، والدبابات بالمرصاد، وطائرات الهليوكوبتر بالمرصاد، ستحصد الشبان والفتيات، ستحصد الرجال والنساء، ستحصد الشيوخ والأطفال ولا تبالى.

من يحاسبها؟ ومن يعاقبها؟ ومن يقول لها: لم؟ فضلاً عن أن يقول لها: لا؟

هذا ما تصنعه إسرائيل، هذا ما دل عليه هذا الاتفاق المزعوم .. اتفاق السلام.

أى سلام هذا الذى لم يحل مشكلة إلى اليوم من المشاكل المعلقة؟! علقوا المسائل المهمة وتركوها لما بعد!

القدس لا زالوا فى كل يوم يعلنون أنها العاصمة الأبدية الموحدة لشعب إسرائيل.

اللاجئون الملايين المشردون من أبناء فلسطين الذين لا زال بعضهم يحتفظ بمفتاح داره، وعنده آمال فى العودة يوما إليها، هؤلاء ليس لهم حق فى العودة، إسرائيل لا تحتمل مزيدا من السكان إلا إذا كانوا سكانا من اليهود!!

المستوطنون لا يزالون فى أماكنهم، ولا يزالون يتزايدون ويتنامَوْن وتتزايد

مستوطناتهم فى أرض فلسطين يوما بعد يوم، وخصوصا فى منطقة القدس. إنهم يأخذون الأرض عنوة وقسرا وقهراً من أصحابها، نرى ذلك فى التلفاز، ونشاهد هؤلاء المساكين وهم يصرخون ويبكون ويُولولون رجالاً ونساء، و(البلدزورات) تهدم وتأخذ الأرض من أهلها بالقهر، وبسيف الجبروت، وجبروت السيف وبمنطق الطغيان والاستكبار فى الأرض بغير الحق .

هذا ما تصنعه إسرائيل.

لا نستغرب من هؤلاء أن يفعلوا ذلك، الاتفاق أفادهم ونفعهم، ولم ينفعنا بشئ.

الحدود حتى الآن لم تتضح. ما هى حدود إسرائيل؟ إنهم يسكتون عن هذا، لأنهم لا يريدون أن يصرحوا عن حقيقة الحدود التى يعتبرونها حدودهم. إنهم يقولون فى كتبهم الخاصة وفيما بينهم: إن حدود إسرائيل من (الفرات) إلى (النيل)، ومن (الأرْز) فى لبنان إلى (النخيل) فى الحجاز، حيث لهم مطامع حول المدينة المنورة وخيبر، إذ كان هناك بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير ويهود خيبر.

هذه هى أطماعهم، وهذه هى أحلامهم. لم يحل الاتفاق أى مشكلة من المشكلات.

وها هم يحفرون حول المسجد الأقصى، الحفريات مستمرة من سنين، وتآمرهم على المسجد الأقصى معروف. لقد حاولوا أكثر من خمس عشرة مرة إحراق هذا المسجد، وأحرقوه مرة أو أحرقوا بعضه، واحترق منبر صلاح الدين: التحفة التاريخية المعروفة، وحاولوا أن ينسفوا هذا المسجد، كما أراد ذلك الحاخام المعروف المقتول (مائير كاهانا)، وحاولوا إطلاق الرصاص على المصلين، وحاولوا أن يُصلوا فيه بالقهر ليثبتوا لهم وجوداً، كما أخذوا جزءا من مسجد الخليل إبراهيم وحجزوه لهم إلى اليوم، وهو ملك المسلمين ومسجد المسلمين وقد بناه المسلمون.

قمة خماسية فى واشنطن

هذه محاولاتهم، فأين نحن من هذا؟

ماذا فعلنا أمام هذا السيل من الدماء اتلتى أريقت، والأرواح التى أزهقت؟ حوالى ستين من الشهداء، وأكثر من ألف من الجرحى والمصابين!

ماذا فعلنا أمام هذا الصمود وهذه البطولة التى أظهرها أبناء فلسطين؟ إنها انتفاضة جديدة.

ماذا فعلنا إزاء هذا؟ للأسف لم نقم بشئ.

قالوا: نذهب إلى قمة خماسية فى واشنطن! ماذا تصنع هذه القمة الخماسية؟!

لقد أحسن الرئيس المصرى (حسنى مبارك) حينما رفض الذهاب إلى هناك، لأنه لا معنى للذهاب إلى واشنطن، ولا أمل فى الذهاب إلى واشنطن.

ونود من مصر أن تؤكد هذه الخطوة الإيجابية بخطوة أخرى، وهى إلغاء المؤتمر الاقتصادى، الذى تلعب فيه إسرائيل دورها، وتريد أن تهيمن على المنطقة اقتصاديا، حتى تنسجم المواقف بعضها مع بعض.

ينبغى – بل يجب وجوبا حتميًا – إلغاء هذا المؤتمر، هذا أقل ما يرد به على هذا الموقف المتبجح الملطخ بالدماء.

ماذا فعلت القمة الواشنطنية؟

نحن نقول: إن القمة فشلت، هى فشلت بالنسبة لنا، ولكنها نجحت نجاحا باهراً بالنسبة لإسرائيل. أتدرون لماذا؟ لأنهم اتفقوا على نبذ العنف، واتخاذ المفاوضات الطويلة المدى وسيلة للوصول إلى النتائج!.

وما معنى نبذ العنف أيها الإخوة؟ معنى نبذ العنف: أى قمع الانتفاضة الجديدة أو إعلان الحرب على المقاومة الإسلامية (حماس) و(الجهاد) التى هى

البديل الوحيد أمام الفلسطينيين للوصول إلى حقهم، كما قال الكاتب الكبير: محمد حسنين هيكل، فى كتابه الأخير [١].

لا يمكن أن يفهم الإسرائيليون غير لغة (القوة)، والقوة وحدها. أىّ لغة أخرى غير مفهومة، بل غير مسموعة عندهم إطلاقا.

اتفقوا على نبذ العنف، وهنا تتعاون الوسائط الاستخباراتية والأمنية بين الفريقين فى هذا السبيل. ولا ندرى ماذا سيحدث اليوم بعد الصلاة فى مساجد فلسطين، فى القدس وغزة والضفة؟ وهل ستشارك السلطة الفلسطينية وشرطتها فى قمع المصلين والمتظاهرين . والمتجمهرين تعبيراً عن سخطهم على ما حدث؟

فى إسرائيل تقوم مظاهرات ومسيرات ولا يقمعها (نتنياهو).

بعضها يطالب بالتشدد أكثر فأكثر، وبعضها يطالب بالسلام، ولكن السلطة الإسرائيلية لا تقمع هؤلاء ولا هؤلاء.

لماذا لا تتعلم السلطة الفلسطينية من إسرائيل، وتدع لأبناء فلسطين أن يعبروا عن أنفسهم سلميا بالصراخ؟ ماذا يملك الإنسان المظلوم المهدوم المحطوم المجروح المذبوح إلا أن يصرخ فى وجه ظالمه، دعوا للناس حرية الصراخ والصياح ليعبروا عن أنفسهم.

لا نريد للسلطة الفلسطينية أن تتورط أكثر مما تورطت، لا نريدها أن تطلق الرصاص على إخوانها وأبنائها من أبناء هذا الشعب البطل المجاهد الصامد المظلوم المفترى عليه.

نحن فشلنا فى قمة واشنطن ونجح اليهود، لأنهم اتفقوا على نبذ العنف، واتخاذ المفاوضات! أى مفاوضات؟ وماذا تجزئ المفاوضات؟ لن يعد (نتنياهو) مجرد وعد أكيد حاسم فى قضية من القضايا، لقد انسل من هذا الأمر كما تنسل الشعرة من العجين، ولم يقل شيئاً، كل ما قاله مجرد كلمات جوفاء ليس لها مضمون، لا تسمن ولا تغنى من جوع.

---

(١) العروش والجيوش.

كان الأصل أن يكون الموضوع الأول على مائدة المفاوضات، والذى من أجله عقدت القمة هو: (النفق)، وإغلاق هذا النفق. إما أن يكون هذا هو الموضوع الأول أو تُلغى المفاوضات من أول الأمر.

ولكن (نتنياهو) أعلن ببجاحة ووقاحة وصراحة: أن هذا الأمر ليس مطروحا على مائدة المفاوضات، وأصر على رأيه، ولم يبحث هذا الأمر.

لماذا ذهبتم إذن يا قوم إلى المفاوضات، إذا كان الموضوع الذى أثار هذه الثائرة – موضوع النفق وموضوع الانتفاضة – ليس مطروحًا على مائدة المفاوضات؟!

نريد قمة فى مكة لا فى واشنطن :

نحن فى الواقع لسنا فى حاجة إلى قمة فى واشنطن، نحن فى حاجة إلى قمة أخرى تُعقد فى مكة المكرمة، أو فى القاهرة، أو فى أى بلد إسلامى. وأولى البلاد بها بلد المسجد الحرام، الذى ابتدأ منه الإسراء لينتهى إلى المسجد الأقصى. لقد ربط الله ما بين المسجدين ربطا أبديًا، هذا بداية الإسراء وهذا نهايته، ومن فرّط فى المسجد الأقصى يوشك أن يفرط فى المسجد الحرام.

نريد قمة إسلامية – لقادة المسلمين – تعقد فى مكة المكرمة. ألا يستحق الأقصى منهم التنادى لهذه القمة؟ فذهب إلى قمة فى واشنطن لإنقاذ المسجد الأقصى، ولا نقيم قمة فى ديار الإسلام لإنقاذ هذا المقدّس العظيم؟!

كنّا نود أن يوجد فى المسلمين رجل مثل (فيصل بن عبد العزيز) الذى دعا فى سنة (١٩٦٩م) – حينما حاول من حاول إحراق المسجد الأقصى – زعماء المسلمين وقادة بلاد الإسلام، إلى الاجتماع من أجل هذا الأمر، واجتمعوا فى (المغرب)، وكان من وراء ذلك إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامى.

واليوم تتزايد الأخطار على المسجد الأقصى، وعلى المدينة المقدسة (القدس)، وعلى أرض الإسراء والمعراج. اليهود يريدون تهويد (القدس)، وإخراجها عن عروبتها وإسلامها، وإضفاء الطابع اليهودى عليها، وقد فعلوا من ذلك الكثير، وغيروا البنية السكانية .. غيروا نسبة السكان.

كان اليهود أول الأمر لا يسكنون فى القدس، منذ دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه مدينة القدس، وعقد عقد الصلح مع أهلها النصارى، وكان ذلك بطلب من بطريك القدس (صفرنيوس)، الذى أصرّ على أن لا يسلم مفتاحها إلا إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب.

وجاء عمر وسُلّم مفتاح المدينة، وعقد معهم صلح (إيلياء) إذ كانت المدينة تسمى فى ذلك الوقت (إيلياء) - أو ما يسمى فى التاريخ باسم (العهدة العمرية)، وكان من شروط هذه العهدة أو هذه الاتفاقية: أن النصارى طلبوا من عمر: أن لا يساكنهم فى مدينتهم (يهود).

كان هذا من الشروط المبدئية الأساسية.

تشتيت اليهود عقوبة إلهية لهم:

معنى هذا أن اليهود لم يكن لهم فى هذه المدينة نصيب منذ فرّقهم الله فى الأرض وقطعهم أمما كما قال القرآن الكريم: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا** ﴾ [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨].

﴿ **لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ** ﴾: وهذا معروف فى التاريخ، من قرأ التاريخ وجد هذه الأدوار لليهود، حينما أفسدوا فى الأرض وطغوا فيها وعلوا علوًّا كبيرا وفعلوا ما فعلوا، قتلوا أنبياء الله، وتعدّوا على الحرمات، وكما قال القرآن: ﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ [البقرة ٨٧] تاريخ اليهود حافل بقتل أنبياء الله، نشروا بالمنشار زكريا عليه السلام، وذبحوا ابنه يحيى عليه السلام.

بعد إفسادهم وطغيانهم وتعديهم:

سلّط الله عليهم أهل (بابل)، وجاء (بختنصر) كما يقول مؤرخو العرب، ودخل ديارهم، وجاس فيها، وحرّق معابدهم وتوراتهم وكتبهم، وأخذهم أسرى إلى بابل مدة سبعين سنة.

هذا معروف فى تاريخهم.

ثم سلط الله عليهم الفرس، ثم سلط الله عليهم الرومان وضربوهم ضربة قاضية، قُطعوا فيها فى الأرض أممًا، وتفرقوا شذر مذر، ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك اليوم.

ولذلك حينما دخل المسلمون (القدس) لم يتسلموا القدس من اليهود، إنما تسلموها من النصارى، وقد شارطوا المسلمين ألا يساكنهم فيها يهود.

وظل هذا قرونًا، ثم يبدو أن المسلمين تساهلوا كعادتهم، وسمحوا لليهود يومًا بعد يوم بالدخول فى هذه المدينة. إلى أن جاء القرن الثامن عشر ثم القرن التاسع عشر، فى عهد الدولة العثمانية، وفى أيام ضعفها، وفى أيام انشغالها بالحروب خارج حدودها وداخلها، بدأ اليهود يخططون لدخول هذه المدينة وبناء أحياء أو مستعمرات حولها خارج سور المدينة، وبنوا من سنة (١٨٤٣م) إلى سنة (١٨٩٧م) سبعًا وعشرين مستعمرة.

وجاء (هرتزل) مؤسس الحركة الصهيونية المعروفة إلى القدس سنة (١٩٠٣م) وزارها، وتفقدها، ثم دعا اليهود فى العالم وحثّهم إلى أن يذهبوا إلى القدس ويسكنوا فيها ويستعمروها ما استطاعوا.

وظل الأمر كذلك، حتى جاء الانتداب البريطانى سنة (١٩١٧م) فمكن لليهود أكثر من أى شئ قبل ذلك.

حينما دخل البريطانيون القدس سنة (١٩١٧م) كان اليهود فيها يكوِّنون خمسًا وعشرين فى المائة (٢٥٪) من السكان، والعرب – مسلمون ومسيحيون – يكونون خمسا وسبعين فى المائة (٧٥٪)، ولا يملك اليهود من مساحة المدينة إلا أربعة فى المائة (٤٪) فقط. وست وتسعون فى المائة (٩٦٪) هى للعرب وللمسلمين، القدس كلها شرقية وغربية! ثم تغيّر الحال.

الآن يكادون يفرغون المدينة من سكانها العرب – بعد أن أصبحت القدس

الغربية كلها لهم – نرى الإجراءات القمعية والتعسفية فى القدس الشرقية والقدس الغربية، ضد العرب مسلميهم ومسيحييهم، ونزع الهويات منهم، ومنع زيادة الأرض المبنية، منع اتساع المدينة من ناحية العرب.

وإعطاء الفرصة لبناء الأحياء السكنية والمستعمرات اليهودية على حساب العرب والمسلمين، جعل العرب والمسلمين فيها أقلية، حوالى ست وعشرين فى المائة (٢٦٪) من العرب وأربع وسبعون فى المائة (٧٤٪) من اليهود.

وبعد اتفاق (أوسلو) زاد الأمر تفاقمًا، فالاستيطان يتزايد يوما بعد يوم، والأرض تنتزع من أهلها يوما بعد يوم، واليهود يريدون تهويد المدينة (أن تكون مدينة يهودية).

نحن أولى بداود وسليمان منهم:

ومن أجل هذا يحفرون الحفريات بحثًا عن هيكل سليمان المزعوم! أين هيكل سليمان هذا؟ وما قيمته التاريخية؟ ومن يثبته؟

ثم نحن أولى بسليمان وداود منهم. هم والله يعتبرون داود وسليمان عليهما السلام – كما تحكى توارتهم المحرفة – من أخس الناس.

داود – عليه السلام – أحب امرأة جاره، فبعث جاره فى بعثة ليقاتل، وأمر قائده أن يعرضه للقتل، ليسطو على امرأته بعد ذلك!

هل يفعل هذا إلا سفلة الناس؟!

هكذا نسبوا إلى داود. ونسبوا إلى سليمان ما نسبوا من السحر وعبادة الأصنام وغير ذلك!

وداود وسليمان عندنا من كرام الأنبياء: ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [ص:١٧ – ٢٠]، ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾، [ص: ٣٠] ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ**

﴿ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٥، ١٦].

والنبى ﷺ يقول: «أحب الصيام إلى الله: صيام داود، كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله: صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»(١). ويقول: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»(٢).

نحن أولى بداود وسليمان منهم، كما قال النبى ﷺ حينما وجدهم يصومون عاشوراء، فسألهم: «ما هذا اليوم الذى تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله، فنحن نصومه تعظيمًا له، فقال رسول الله ﷺ: فنحن أحق بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه»(٣).

نحن أحق بموسى منهم، وأحق بداود منهم، وأحق بسليمان منهم. نحن نعبد الله كما يريد داود وسليمان، أماهم فبماذا يعبدون الله؟ بإراقة الدماء؟! بالتعدى على خلق الله؟! بالعدوان على الأرواح والأموال؟! بأخذ الأراضى بغير حق؟! بمصادرتها بدعوى مختلفة: المصلحة العامة .. الاستملاك .. من لم يمكث فى أرضه خمسين عامًا فليس له حق تملّكها؟!

لقد أخذوا أراضى الفلسطينيين، وأخذوا أراضى الأوقاف الإسلامية التى لا يجوز لأحد أن يتصرف فيها، فهى ملك مؤبد لله تبارك وتعالى.

لقد تملكوا هذه الأوقاف واعتدوا عليها، لأنهم لم يجدوا من يقول لهم: قفوا عند حدكم.

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه.

(٢) رواه أحمد والبخارى عن المقدام بن معديكرب رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٥/٤٢٥ برقم ٧٧٣٣)..

(٣) متفق عليه، عن ابن عباس رضى الله عنهما.

OBEIKAN.COM

واجب الأمة نحو فلسطين:

آن للأمة الإسلامية أن تتكلم، آن للأمة الإسلامية أن تقف موقفاً إيجابيا..

الأمة التى تملك مليارًا وثلث المليار من البشر فى أنحاء الأرض، الأمة التى تملك من المقدرات الاقتصادية والاستراتيجية مالا يملكه غيرها، الأمة التى تملك من القوة الروحية ومن مواريث السماء مالا يملكه أحد سواها، الأمة التى تملك كل هذه المقومات تستطيع أن تفعل الكثير، لو وجدت القيادة. مشكلة الأمة الإسلامية ليست فى القاعدة بقدر ما هى فى القمة.

لقد استطاعوا أن يمزقوا ما بين قادة هذه الأمة، وأن يخوفوابعضهم من بعض، وأن يفصلوا بعضهم عن بعض، حتى رأينا الدول العربية والإسلامية يجافى بعضها بعضا، بل يعادى بعضها بعضا، بل يقاتل بعضها بعضا.

أين الأمة التى سماها الله تعالى: ﴿ **أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ (١)، وجعلها ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ (٢)؟ وقال: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾ [الأنبياء: ٩٢] أين هذه الأمة الواحدة التى عبر النبى عليه الصلاة والسلام عن العلاقة بين أبنائها فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (٣) ثم شبك بين أصابعه (٤).

---

(١) فى قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣].

(٢) فى قوله تعالى: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢٥٢ برقم ٩١٤٣).

(٤) كما فى البخارى. قال العلامة المناوى فى شرحه للحديث: " أى يشد بعضهم بعضا مثل هذا الشد، فوقع التشبيك تشبيها لتعاضد المؤمنين بعضهم ببعض، كما أن البنيان الممسك بعضه ببعض يشد بعضه بعضا، وذلك لأن أقواهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن القوى فإذا والاه قوى .. إلخ (ينظر: فيض القدير: ٦ / ٢٥٢).

OBEIKAN.COM

وقال: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1]، إنها كيان عضوى واحد يُحس كل عضو بألم العضو الآخر. هذا هو الذى ينبغى أن تكون عليه الأمة، ولكن الآن نرى غير ذلك.

لقد استطاعوا بضربة واحدة أن يمزقوا شمل العرب، كما فعلوا فى ضربة حرب الخليج، التى لا تزال آثارها إلى اليوم.

ولكن أمام الأحداث الكبار ينبغى للأمة أن تنسى كل خلافاتها، أن توحد صفوفها، أن تجمع كلمتها، أن تتنادى فيما بينها لتنقذ مقدساتها، لا يجوز لأمة الإسلام أن تسكت على هذا الباطل .. على هذا الإجرام .. على هذا العدوان.

إننا – والله – نستطيع أن نفعل الكثير، مجرد وقوفنا وقولنا: (لا) يهز العالم كله هزاً. قمة القاهرة التى عقدت من قريب هذه أقلقت القوم، وفزعوا أن يكون وراءها أمر إيجابى. وفعلا حينما بدأت تتقارب مصر مع السودان ومصر مع إيران، قلقت القوى المعادية للإسلام وفزعت، وعملت عملها حتى تفشل هذه الخطوات المباركة فى التقريب ما بين المتباعدين، والفصل ما بين المتخاصمين.

نحن نملك الكثير لو وحدنا صفوفنا.

ألا يوجد من يدعو هذه الأمة. بقوة لتجتمع فى شكل قمة إسلامية إيجابية لزعماء المسلمين؟

وينبغى أن تكون هناك قمة أخرى شعبية لعلماء المسلمين فى العالم: علماء المسلمين الذين درسوا كتاب الله وسنة رسوله، علماء المسلمين الأحرار الذين ليسوا من علماء السلطة ولا عملاء الشرطة! هؤلاء ينبغى أن يجتمعوا فى بلدة ما تتسع لهم، ويقولوا رأيهم، ويعبروا عن تأييدهم لإخوانهم.

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والبخارى فى الأدب، عن النعمان بن بشير رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٥١٤ برقم ٨١٥٥).

ألا يجتمع علماء الإسلام؟

إذا لم نصل إلى اجتماع الزعماء، فلنرض باجتماع العلماء.

ألا يوجد من ينادى العلماء فى أنحاء العالم أن يلتقوا؟

ألا يدعو شيخ الأزهر فى مصر ليجتمع العلماء فى مصر؟ ألا يدعو الشيخ عبد العزيز بن باز إلى أن يجتمع العلماء فى مكة؟ ألا يدعو بعض العلماء ليلتقوا حتى يقولوا كلمتهم.؟

نحن نستطيع أن نفعل الكثير، ولا يجوز أن نقف مكتوفى الأيدى، مشلولى الألسنة، لا نفعل شيئًا، ولا نقول شيئا.

إن الدماء المراقة من إخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا وآبائنا وأمهاتنا، فى أرض فلسطين التى بارك الله فيها للعالمين، توجب علينا أن نقف مع إخواننا مؤيدين مساندين، بالنفس والمال وبكل ما نستطيع.

الجمعيات الخيرية فى قطر: جمعية قطر الخيرية، جمعية الشيخ عيد بن محمد الخيرية، صندوق الزكاة فى قطر، يجب أن يساعدوا الأخوة فى فلسطين، هؤلاء الذين استشهدوا وتركوا أولادًا، هؤلاء الذين جرحوا، هؤلاء المعتقلون (أكثر من ستة آلاف معتقل) هؤلاء المشردون، هؤلاء العاطلون (سبعون فى المائة من أبناء غزة والضفة عاطلون نتيجة الحصار الإسرائيلى، وستة ملايين دولار يوميًا خسائر نتيجة هذا الحصار). لا بد أن نقف مع هؤلاء، نساعدهم بما استطعنا، نساعدهم بما يمكننا، ويمكننا الكثير، والله يبارك فى القليل.

يا أيها الإخوة: إن الأمة الإسلامية تقدر أن تفعل كثيرًا، ولكنها معطلة، مقيدة، مغلولة الأيدى والأقدام، وينبغى أن نتحرر من الأغلال والقيود، وأن نسير إلى الأمام،، وأن ندعو الله تبارك وتعالى لإخواننا فى الصباح والمساء، فى سجداتنا إذا سجدنا، فى خلواتنا بالليل، فى ساعات السَّحر.

علينا أن ندعو الله تبارك وتعالى أن يؤيد إخواننا بروح من عنده، وأن يمدهم بملأ من جنده، وأن يفتح لهم فتحًا مبينا، وأن يهديهم صراطًا مستقيما،

OBEIKAN.COM

وأن ينصرهم نصراً عزيزا، وأن يأخذ أعداءهم أخذًا أليمًا شديداً، إنه سميع قريب.

أقول قولى هذا – أيها الإخوة والأخوات – وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

● **الخطبة الثانية:**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

المعركة بيننا وبين اليهود مستمرة، ولا يمكن أن نلقى السلاح، وسنظل نقاوم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وسنظل نؤيد إخوتنا الذين يجاهدون فى سبيل الله، ويعلون راية الإسلام وكلمة الإيمان فى أرض فلسطين المباركة.

ونعتقد – إن شاء الله – أن الزمن فى صالحهم، المثبطون يثبطون ويقولون: الزمن ليس فى صالحنا، ونحن نقول: فى صالحنا إن شاء الله.

لن يستمر القوى قويا أبد الدهر، ولن يستمر الضعيف ضعيفا أبد الدهر، دوام الحال من المحال، ومن سنة الله تعالى (التداول) .. تداول الأيام بين الأمم والأقوام، كما قال تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠] الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، وقد مرّت الأيام التى علينا، وبقيت التى لنا.

الله تعالى قال عن اليهود: ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٢]، ﴿**بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ**﴾: أن يدخلوا فى الإسلام فيعتزوا به، ﴿**وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ**﴾ أن يتقووا ببعض القوى الموجودة فى الأرض، كما يتقوون الآن بأمريكا.

ولكن لن يستمر هذا الحبل الموصول بينهم وبين الناس أبد الدهر، سرعان ما ينقطع هذا الحبل بسوء أخلاقهم وأنانيتهم وعدوانهم، ويعودون إلى القاعدة الأصلية: «ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا».

OBEIKAN.COM

سيقطع الحبل الذى بينهم وبين الناس، كما انقطع الحبل الذى بينهم وبين الله، وسيبقون فى العراء وسنواجههم بإيماننا وحقنا الذى لن يضيع أبدا. سنواجههم إن شاء الله، وستكون المعركة فى النهاية لنا، سيكون الحجر والشجر معنا، سيكون كل شئ فى الوجود معنا وضدّ اليهود، دالاً عليهم وكاشفًا عن عوراتهم.

وقد روى الإمام أحمد والطبرانى بسند رواته ثقات، عن أبى أمامة الباهلى أن النبى ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»(١).

فاصبروا أيها الإخوة المرابطون فى بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، فى الضفة الغربية، وفى غزة، وفى غيرها، وفى بلاد الشام، وفى مصر، فهؤلاء كلّهم بأكناف بيت المقدس ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

اللهم افتح لنا فتحًا مبينا، واهدنا صراطًا مستقيما، وانصرنا نصرًا عزيزا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل فى قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم أيد إخوتنا فى فلسطين، اللهم انصرهم نصرًا مؤزرا. اللهم اجمع كلمتهم على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة وعزائمهم على الجهاد فى سبيلك. اللهم وحد صفوفهم، اللهم أبعد العداوة والبغضاء من بينهم.

---

(١) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. والحديث انفرد به الإمام أحمد عن أبى أمامة (الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى مع شرحه بلوغ الأمانى لأحمد عبد الرحمن البنا: ٢٣/ ٢٠٧ - ٢٠٨ برقم ٤٤٢).

OBEIKAN.COM

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم إنا نجعلك فى نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم ردّ سهامهم إلى صدورهم، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم لا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

إن شاء الله بعد أن نصلى ركعتى الجمعة، سنصلى صلاة الغائب على أرواح الشهداء.

* * *

OBEIKAN.COM

(٥) القوة والضعف فى تاريخ الإسلام [١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون :

لماذا تخلف المسلمون ؟

حيثما شرقت أو غربت، حيثما ذهبت يمينا أو شمالا، فى بلاد المسلمين ، وخارج بلاد المسلمين، واجهنى سؤال سأله الكثيرون من المسلمين : ما بالنا نحن المسلمين عامة ونحن العرب خاصة فى ذيل قافلة البشرية؟ ما بالنا قد تغلب علينا الضعفاء، وتجرأ علينا الجبناء، وتعزز علينا الأذلاء، حتى اليهود أحرص الناس على حياة، وأجبنهم بنفس، وأبخلهم بمال؟ .

ما مابالنا نحن المسلمين عامة نعدّ فى البلاد النامية؟ أى البلاد المتخلفة فى العالم الثالث ولو كان هناك عالم رابع لنُسبنا إليه! .

ما بالنا نحن المسلمين عالة على غيرنا؟ حتى بلادنا – وهى بلاد زراعية – تستورد نصف أقواتها أو أكثر من نصفها فى بعض الأحيان من بلاد أخرى، لا تملك الرغيف الذى تأكله! وهى عالة فى الصناعة كما هى عالة فى الزراعة، لا زلنا نعتمد على غيرنا فى القُوى الصناعية، وفى الأسلحة التى نذود بها عن حياضنا، لم نصنع طائرة، ولم نصنع دبابة إلى اليوم . كل الأسلحة الثقيلة نعتمد فيها على سوانا!

هل الإسلام سبب تخلفنا ؟ !

ما بالنا نحن المسلمين هكذا؟ أهذا راجع إلى إسلامنا؟ بعض العلمانيين واللادينيين والشيوعيين يقولون : إن السبب فى تخلف المسلمين وضعف المسلمين وجهل المسلمين وهوان المسلمين يرجع إلى الدين! هل هذا صحيح؟ هل الإسلام

---

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ١٧ / ٥ / ١٤١٨هـ الموافق ١٩ / ٩ / ١٩٩٧م.

OBEIKAN.COM

مسؤول عما نحن فيه نحن المسلمين ونحن العرب؟ لا، والله، ما ذنب الإسلام؟ ما ذنب الطبيب إذا شخص لك الداء، ووصف لك العلاج والدواء، ولكنك لم تسمع للطبيب، ولم تتناول الدواء، ولم تتناول الغذاء بالطريقة التى شرحها لك؟ ما ذنب الطبيب؟

ما ذنب الإسلام؟ الإسلام يدعو إلى القوة ولكننا نحن الضعفاء، يدعو إلى الوحدة ولكننا نحن المتفرقون، يدعو إلى الإخاء ولكننا نحن المتعادون، يدعو إلى النظام ولكن الفوضى تضرب أطنابها فى بلادنا، يدعو إلى أن نكون أمة واحدة – كالبنيان المرصوص – يشد بعضها بعضا ونحن نجافى بعضنا بعضا، بل يعادى بعضنا بعضا، بل يقاتل بعضنا بعضا.

ما ذنب الإسلام؟

لو كان هذا الكلام صحيحا يمكن أن ينطبق على التدين الخرافى .. التدين الذى يتبعه بعض الناس، الذى يقوم على الخرافة فى العقيدة .. على الشركيات والقبوريات .. على الأباطيل والأساطير، يقوم على الابتداع فى العبادة .. على السلبية فى التربية، والضعف فى الأخلاق. هذا النوع من التدين الذى يشيعه بعض الناس باسم الدين، والدين منه براء.

إنما نحن نتكلم عن الإسلام الصحيح .. عن إسلام القرآن والسنة .. عن إسلام الصحابة والتابعين .. عن إسلام خير القرون، هذا الإسلام هو الذى نؤمن به، وهو الذى ندعو إليه، وهو الذى نستمسك بعراه ولا نحيد عنه قيد شبر.

هذا الإسلام لا يمكن أن يكون سببًا لضياع الأمة، ولا سببًا لتخلفها، ولا سببًا لهوانها ، والعكس هو الصحيح.

الذى ينظر فى تاريخ هذه الأمة منذ نشأت .. منذ عهد النبوة وإلى اليوم، يجد هناك حقيقة ثابتة ثبوت السنن الإلهية، هذه الحقيقة: أن هذه الأمة كلما اتصلت بالإسلام واقتربت منه، حسن فهم وحسن سلوك، وحسن تطبيق لعقيدته وشريعته وأخلاقه ومثله العليا، كلما اقتربت من هذه : اقترب منها المجد والرفعة والازدهار، و العز والانتصار، والغلبة على الأعداء، والقوة فى الداخل، والهيبة فى الخارج. من يقرأ التاريخ يجد هذا واضحا.

ولذلك نجد أعظم الفترات إضاءة وإشراقًا فى تاريخ هذه الأمة، هى الفترات التى يحيا فيها الإسلام، وترتفع فيها راية الإسلام، وتطبق فيها أحكام الإسلام، وتراعى قيم الإسلام.

فى عهد النبوة: ماذا حقق محمد ﷺ الذى انتصر على جبهات عدّة وقفت ضد دعوته؟ الجبهة الوثنية فى جزيرة العرب، والجبهة اليهودية فى غزوات بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير وخيبر، والجبهة البيزنطية الرومية النصرانية، والجبهة المجوسية التى كانت متربصة، وجبهة المنافقين .. الطابور الخامس الذين يحيون بين المسلمين وكأنهم منهم وهم ليسوا منهم، يقولون: ﴿**آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ٨، ٩].

ما مات محمد ﷺ حتى وطّد أركان هذا الدين، وأقام مجتمعًا إسلاميًا مثاليا، وأسس دولة نموذجية، لقد تمت النعمة وكمل الدين وحق قول الله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣].

وجاء خلفاؤه الراشدون فساروا على سنته، ونهجوا نهجه، وانتشر الإسلام. انتشر الإسلام فى أنحاء العالم بفضل أصحاب رسول الله ﷺ وتلاميذهم. هؤلاء الصحابة هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم، ربّاهم النبى ﷺ ليربوا العرب من بعده، ويربى العرب من بعدهم العالم كله. انطلقوا فى الآفاق يقرئون الناس القرآن الذى حفظوه، ويروون للناس سنة محمد ﷺ التى وعَوها واتبعوها، ويدخلون الناس فى الإسلام، ليس بالسيف كما يقول خصوم الإسلام: إن الإسلام انتصر بالسيف وانتشر بالسيف! لا، السيف لا يمكن أن يفتح قلبًا وعقلا، إنما يمكن أن يفتح أرضا.

انتصار الإسلام على السيف :

الإسلام فى الواقع انتصر على السيف ولم ينتصر بالسيف منذ جاء الإسلام والسيف مشهور فى وجهه، قامت الوثنية القرشية والعربية ضد محمد ﷺ، وعذبته وأصحابه، صبت عليه سياط العذاب، وقاطعته وأصحابه ثلاث سنين، لا يبيع لهم أحد ولا يبتاع منهم، ولا يزوجهم ولا يتزوج منهم، حتى أكلوا أوراق الشجر ، وعاشوا وباتوا الليالى جياعًا، يضعون على بطونهم الأحجار من الطوى. لقد لقى الإسلام من هؤلاء ما لقى.

الإسلام الذى ننعم به الآن ونحيا فى ظلاله، لم يصلنا غنيمة باردة ولا بيضة مقشورة أريقت فى سبيله الدماء، وأزهقت من أجله الأرواح، وضحى فيه الكثيرون، وسقط فيه الشهداء، وعُذب فيه المعذبون فى سبيل الله.

هذا الإسلام يجب أن نعرف موقفنا منه نحن المسلمين.

إن الصحابة رضوان الله عليهم لم ينشروا الإسلام بالسيف، بل انتصر الإسلام على السيف.

غزوة (ب٧٧در) كانت تحديًا للمسلمين لقربها من المدينة، (أحد) غزوة للمسلمين فى المدينة، (الخندق) غزو وحصار للمسلمين، المسلمون كانوا فى موقف الدفاع، هكذا.

ما شرع الله القتال إلا للذود عن الحرمات ، ولضمان حرية الدعوة، تأمين الدعوة إلى الله. لا يريد الإسلام من الناس إلا أن يطلقوا حرية الدعاة: دعونا نسمع الناس كلمات الله، نسمع الناس دعوة الله، ولا شأن لنا بكم.

فإن صددتمونا عن سبيل الله ، ووقفتم فى وجوهنا، وقتلتم دعاتنا – كما حدث مع الرومان – فلا بد أن ندافع عن أنفسنا وعن دعوتنا وعن حرية عباد الله.

انتشار الإسلام بالقيم والأخلاق :

الإسلام ما انتصر بالسيف، إنما انتصر بالإيمان.. بالأخلاق .. بالسلوكيات.

المسلمون فتحوا جزءاً صغيرا فى بلاد الهند – أو فى السند – بالسيف، ثم عاشوا بين الناس، فدخل الناس فى دين الله أفواجا. هذه الكتل الإسلامية الكبرى: فى الهند وفى باكستان وفى بنغلادش، لم تدخل بالسيف، ولا رأت السيف ولا رأت جيشا يحمل السيف.

وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامى قط مثل: ماليزيا واندونيسيا – أكبر بلد إسلامى الآن، مائتا مليون أو أكثر، تسعون فى المائة منه مسلمون – والفلبين، ما دخلتها الجيوش الإسلامية. وما نشر الإسلام فيها عن طريق دعاة محترفين، بل عن طريق تجار عاديين!

وأفريقيا ما انتشر الإسلام فيها بالسيف ولا بالجيوش. على رأس أفريقيا (مصر)، ذهب عمرو بن العاص إليها بأربعة آلاف جندى، ليقاتلوا جيش الإمبراطورية الرومانية فى مصر، وعلى رأسه المقوقس والى مصر واستمد ابن العاص عمر أن يبعث إليه بمدد، فبعث إليه بأربعة آلاف آخرين وعلى رأسهم أربعة رجال قال: كل منهم بألف! ثمانية آلاف رجل تفتح بلدا وبلداً بعيداً عن موطن الجيش الفاتح؟! لا، ولكن الناس هم الذين رحبوا بهؤلاء الفاتحين الجدد، الذين يحملون عدل الله لعباد الله، الذين حملوا النور للبشر.

الإسلام لم ينتشر إلا بأخلاق المسلمين. الناس رأوا المسلمين، رأوا فيهم صدق الإيمان، ومتانة الأخلاق، وحسن التعامل، وإنصاف الآخرين. لم يحسوا فيهم بجبروت الفاتحين، ولا بظلم الأقوياء، أو قوة الظالمين، إنما وجدووا فيهم أناساً جدداً غير الذين عرفوهم طوال التاريخ، فأحبوهم ودخلوا الإسلام من أجلهم.

فى مصر كان ولاة بنى أمية يفرضون الجزية على من أسلم من أهلها من النصارى، ذلك لأن الولاة يقولون: إذا لم نأخذ الجزية من هؤلاء الذين يدخلون فى الإسلام بكثرة وهم لا تجب عليهم الزكاة إلا بعد حول، فمن أين نجد مالاً للخزانة؟ ومن أين ننفق ؟ فكانوا يفرضون عليهم الجزية وإن أسلموا! كأنما ينفرونهم من الدخول فى الإسلام!

وبقى هذا إلى عهد عمر بن عبد العزيز، وأرسل إليه واليه على مصر يقول له: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلى كانوا يفرضون الجزية على من أسلم، فماذا تقول فى ذلك؟ هل أفرض على الناس الجزية وإن أسلموا؟ فبعث إليه يقول له: قبح الله رأيك، إن الله بعث رسوله هاديا ولم يبعثه جابيا - الدولة الإسلامية ليست دولة جباية، ولكنها دولة هداية - أسقط الجزية عمن أسلم.

هكذا انتشر الإسلام فى الآفاق.

ثم انتقل الإسلام إلى أوربا عن طريق المضيق الذى سمى: مضيق جبل طارق، وإنما سمى بهذا الإسم باسم ذلك القائد المسلم طارق بن زياد، هذا القائد البربرى الذى ذهب لتلك البلاد وعبر البحر، ليستجيب لدعوات من استغاثوا بالمسلمين لينقذوهم من المظالم فى تلك البلاد من إسبانيا.

خصائص حضارتنا الإسلامية:

وذهب المسلمون إلى تلك البلاد، وأقاموا فيها ثمانية قرون، أنشأوا فيها حضارة عظيمة فى الغرب، كما أنشأوا حضارة أخرى فى الشرق، حضارة جمعت بين العلم والإيمان .. بين الرقى المادى والسمو الروحى، حضارة لم تتنكر للعقائد، ولم تتنكر للأخلاق ولا للمثل العليا. ليست حضارة مادية كالحضارة الغربية الحديثة، ولا حضارة إباحية كما نرى، إنها حضارة علم وإيمان وعمران وأخلاق.

أقام المسلمون حضارة ربانية .. حضارة إنسانية .. حضارة أخلاقية .. حضارة عالمية، ليست حضارة قومية متعصبة. صحيح أن العرب كانوا هم قادة هذه الحضارة، ولكنها كانت حضارة عالمية شاركت فيها شعوب شتى، وشاركت فيها ديانات شتى، وَسِعت المسلمين وغير المسلمين، وسعت العرب والعجم، الكل شارك فيها. قدرت اختلاف الناس فى الأديان فلم تجبر أحداً على أن يترك دينه، لأن اختلاف الأديان واقع بمشيئة الله: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴾ [هود: ١١٨].

واختلاف الناس الذى يحكم فيه هو الله تعالى: ﴿ **وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [الحج: ٦٨، ٦٩]، ﴿ **اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١٥].

هذا التسامح الذى عرفه المسلمون لم يُعرف فى أمة من الأمم. كان الناس فى ظل الحضارات السابقة يخضعون للدولة الفاتحة القاهرة، الإسلام لم يُخضع ضمائر الناس إلا لهم أنفسهم، كل واحد وما اقتنع به، لا يجبر أحداً على أن يدخل فى الإسلام، ولو دخل أحد تحت وقع السيف لكان مُكْرها، وكان إيمانه باطلاً، لأن الإيمان الحق لا بد أن يكون عن اقتناع واختيار.

حينما آمن فرعون حيث أدركه الغرق قال: آمنت، قال: ﴿ **آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [يونس: ٩١] لا يصلح إيمانك وأنت الآن ليس لك اختيار ولا إرادة.

وقال الله تعالى فى شأن قوم نزل بهم عذاب الله: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

هكذا كان الإسلام وكان المسلمون.

انتشر الإسلام فى العالم بأخلاق المسلمين .. بسلوكيات المسلمين، هذا المليار والثلث الذى نراه من أبناء الإسلام فى العالم: لم يأت نتيجة السيف، وما جاء نتيجة السيف يذهب إذا سقط السيف. الناس عاشوا سبعين عاما تحت وطأة الحكم الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى وفى بولندا وفى غيرها من البلاد، ولما سقط الحكم الشيوعى إذا بالأغلبية الساحقة من الناس تسب هذا الحكم وترجع عنه، وتختار حكاماً من غير الشيوعيين، لأنهم عاشوا تحت القهر، القهر لا يدخل عقيدة فى قلب، إنما دخل الناس فى الإسلام مختارين.

من صفحات تاريخا المشرق :

من نظر إلى التاريخ الإسلامى يجد أن أعظم الفترات إضاءةً وإشراقًا وازدهارًا فى تاريخ المسلمين هى الفترات التى يقترب فيها الناس من الإسلام، وتُطبق تعاليم الإسلام إلى حد معقول.

انظر عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، انظر عصر عمر بن عبد العزيز فى العهد الأموى وقد مكن الله له، مع أن حكمه لم يطل أكثر من ثلاثين شهراً (سنتين ونصف)، ولكن لم يمت عمر بن عبد العزيز حتى أغنى الناس! ازدهر المجتمع وعم الرخاء، حتى بعث إليه واليه على إفريقيا – إفريقيا كان يُقصد بها تونس وما حولها من تلك البلاد – يقول : يا أمير المؤمنين جمعت زكوات عندى ولم أجد فقيراً يستحقها لا من المسلمين ولا من أهل الذمة، فماذا أصنع بها؟! فبعث إليه عمر رضى الله عنه يقول : « اشتر بها رقاباً فأعتقها ». تحوّلت حصيلة الزكاة إلى تحرير العبيد، ليست أمريكا ولا إبراهيم لنكولن ولا هؤلاء هم الذين بدأوا بتحرير العبيد . الذين بدأوا بتحرير الإنسان من الرق هم المسلمون . فى مصارف الزكاة مصرف نص عليه القرآن : ﴿ **وَفِي الرِّقَابِ** ﴾ [1] فى تحرير الرقاب . ولذلك حينما تغلب الناس على الفقر شرعوا يعملون لتحرير الناس من الرق .

ونجد هارون الرشيد يخاطب سحابة فى السماء – وهو جالس على عرشه – وقد أظلت سماء بغداد ثم انقشعت عنها، فقال لها : أيتها السحابة شرّقى أو غربى، وأمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك! حيث أمطرت ستأتى الثمرة إلى بيت مال المسلمين، إما زكاة يدفعها المسلم، وإما خراجًا يدفعه غير المسلم. انظروا إلى هذا الملك .

---

(١) قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة : ٦٠]

حضارتنا علمت العالم:

أقام المسلمون حضارة عظيمة كانت هى الحضارة السائدة فى العالم لعدة قرون، كان المسلمون هم الأمة الأولى والعالم الأول، ليسوا العالم الثالث ولا الرابع. كان المسلمون هم أساتذة الدنيا، كان الطلاب من أنحاء العالم يأتون إلى جامعات المسلمين يتعلمون منها، كانت اللغة العربية يتحدث بها أبناء أوربا يُظهرون بها على ثقافتهم، كما نرى ذلك اليوم: بعض الناس يتكلمون ويدخل بعض الكلمات الانجليزية أو الفرنسية دلالة على ثقافته، فهكذا كان يفعل الأوربيون الذين يتعلمون فى الأندلس.

تعلم الأوربيون من المسلمين المنهج التجريبى الذى يتحدثون عنه ويقولون: إن آباءه (فرنسيس بيكون) و(روجر بيكون). هؤلاء تعلموا من المسلمين ومن الحضارة العربية الإسلامية هذا المنهج الاستقرائى التجريبى. لم يكن ذلك فى أوربا، بل تعلموه من المسلمين.

كانت أسماء علمائنا هى أشهر الأسماء فى العالم، وأسماء مراجعنا العلمية هى المعروفة عند الناس أجمعين، وجامعاتنا هى موئل الطلاب.

بعدنا عن الإسلام فتخلفنا:

كنا نحن قادة الدنيا، كنا قادة العالم، وليس ذلك فى عشر سنين أو عشرين أو خمسين أو مائة، مئات السنين .. قرون عدة والمسلمون هم فى مطلع القافلة، فى مأخذ الزمام من القافلة لا فى الذيل منها كما نحن الآن.

ثم حدث ما حدث، لأننا تخلفنا عن الإسلام.

كلما اقتربنا من الإسلام ازدهرنا وانتصرنا وقوينا، وكلنا يذكر عهد عماد الدين زنكى، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبى. وهؤلاء الأبطال، الذين نفخوا فى الأمة من روحهم، نفخوا فيها روح الإيمان والجهاد، وقاوموا الصليبيين وقاوموا بعد ذلك التتار وهكذا. هذه الفترات المضيئة هى التى تدلنا على أن الإسلام هو مصدر القوة لهذه الأمة.

OBEIKAN.COM

بروز الصحوة الإسلامية:

لما بعدنا عن الإسلام ضعفنا .. تفرقنا .. تخاذلنا، خصوصًا بالنسبة للدولة. إذا نظرنا إلى الشعوب نجد – والحمد لله – هناك صحوة إسلامية، قوية، بعثت الهمم، وأحيت العزائم، وأنارت العقول، وحرّكت القلوب، ودفعت الناس إلى السلوك الإسلامي، شبانًا وشابات، رجالاً ونساء، لا شك في هذا.

هناك صحوة إسلامية، ولكن هذه الصحوة الإسلامية فيها بعض الشوائب، فيها أناس يُشغلون بالنوافل عن الفرائض، وبالجزئيات عن الكليات، وبالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه.

التخطيط لضرب الصحوة:

ومن ناحية أخرى فإن خصوم الإسلام يحاولون أن يضربوا الصحوة بعضها ببعض، وأن يؤلبوا الجماعات الإسلامية بعضها على بعض، فبدل أن تقف صفًا واحدا في المعركة كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ** ﴾ [الصف: ٤]، بدل أن يقف الجميع صفًا واحدا: يكيد بعضهم لبعض، ويحاول بعضهم أن يبني نفسه بهدم الآخرين، وهذا لا يأتي إلا بالضرر على الجميع.

ثم إن أعداء الأمة يريدون أن يضربوا هذه الصحوة كلها، لا يريدون أن تبقى لها باقية، يريدون أن يجتثوا جذورها .. أن يهدموا أسسها. ولذلك أشاعوا عنها ما أشاعوا، أحيانا تحارب باسم التطرف، وأحيانًا تحارب باسم الإرهاب، وأحيانًا تحارب باسم الأصولية، وفي كل حين يخترعون أسماء معينة. وهم في الحقيقة إنما يحاربون الإسلام، لا يريدون للإسلام أن يعلو له علم، أو يذكر له اسم، أو يحقق ذاته في بلاده ودياره. يريدون أن يبقى الإسلام غريبًا في أوطانه، مخذولاً بين أنصاره.

هؤلاء الأعداء يكيدون لهذا الدين كيدا، ويمكرون به مكرًا كبارا. والمهم أن نفطن نحن لهذا الكيد، أن نكون مستبصرين بما يدبر لنا في الخفاء، الجميع

مقصود، الأمة كلها يُراد أن يُهال عليها التراب، الإسلام نفسه يُراد ألا تقوم له قائمة، فلا بد أن نتنبه لهذا الأمر.

ماذا يدبر لأمتنا؟

لا بد أن نعرف: ماذا يريد الأعداء لنا؟

إن تدبير الأعداء تدبير متين، وكيدهم عظيم، وقد بدأ منذ قرن من الزمان أو أكثر. منذ مائة سنة قام المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة (بازل) بسويسرا، برئاسة (هرتزل) الذى أسس المؤسسة الصهيونية، والذى قال: إن الدولة اليهودية قد قامت، وستقوم بعد نصف قرن! وفعلاً بعد خمسين - أو واحد وخمسين - سنة قامت دولة إسرائيل. تلك الدولة التى ظللنا عدة سنين ونحن نقول عنها فى الصحف: إسرائيل (المزعومة). ثم بعد مدة من الزمن خجلنا من أنفسنا، لأن هذه (المزعومة) أصبحت تركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، وتضرب تلك الجبهة. فكيف تصبح مزعومة وقد أوشكنا أن نكون نحن المزعومين؟!.

وها هى إسرائيل اليوم تفعل ما تفعل، تتحدى أكثر من مائتى مليون من العرب، ومليارًا وثلث مليار من المسلمين، تريد أن تغتصب القدس الشريف.. المسجد الأقصى، هذا ما تفعله. حتى المساكن الشخصية المقابلة للمسجد تستولى عليها، كما فعلت فى (رأس العمود) وأين نحن؟ ماذا فعلنا؟ لم نصرخ صرخة تهز الدنيا، حتى احتجاجاتنا خافتة متهافتة، لا تُسمع، ولا تُبلغ. نحن أصبحنا أضعف من أن نفعل شيئا.

الموقف العربى الإسلامى موقف هش ضعيف. والموقف الإسرائيلى موقف صلب قوى. هذا ما وجدته (أولبرايت)[1] حينما زارت المنطقة، وجدت الصلابة والبجاحة والصلف والغرور والادعاء والاستمساك بالباطل كأنه حق فى

---

(١) وزيرة خارجية أمريكا السابقة (فى عهد كلينتون).

جانب إسرائيل. ووجدت هذا الكلام الذى يحتمل أكثر من وجه، والذى يُقال بنعومة ولطف، والذى لا يسمن ولا يغنى من جوع فى الجانب العربى.

والآن القدس تتعرض للخطر، القدس تتعرض لخطر عظيم، وهذا سيكون موضوع الخطبة القادمة إن شاء الله.

القدس تتعرض لخطر عظيم، فأين العرب؟ وأين المسلمون؟ وأين جند الله الذين يدافعون عن هذا الحق؟ هل نسكت ونصمت حتى ينهار المسجد الأقصى؟.

الحفريات من تحت المسجد الأقصى تشكل خطرا على المسجد، وأنا اعتقد أن اليهود يعرفون متى يسقط هذا المسجد؟ متى سينهار؟ وقد يحددون هذا اليوم فى وقت ما، ونحن عن هذا غافلون، فى غفلة ساهون، وفى غمرة لاهون.

نسأل الله تعالى أن ينير طريقنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن ينصرنا على عدوه وعدونا، إنه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(٦) واقدســـاه ! !
المؤامرة الكبرى لتهويد القدس[١]

● **الخطبة الأولى :**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

وعدتكم فى الجمعة الماضية أن نتحدث عن القدس . وما لنا لا نتحدث عن القدس، وهى الآن تتعرّض لأعظم الأخطار؟القدس الآن تكاد تضيع من العرب والمسلمين .

المخطط الصهيونيِ لتهويد القدس . . لإزالة صبغتها العربية الإسلامية . . لتفريغها من أهلها (مسلمين ومسيحيّين)، المخطط الإسرائيلى الصهيونيِ بدا واضحاً للعيان .

الاستيطان اليهودى للقدس ولما حول القدس ماضٍ فيِ طريقه، لا يبالىِ بالفلسطينيّين، ولا يبالىِ بالعرب، ولا يبالىِ بالمسلمين، لأن المنطق للقوّة، وليست القوّة للمنطق، حقّ القوّة، وليست قوّة الحق هى التىِ تحكم هذا العالم .

اليهود بالدم والحديد والنار والعنف والإرهاب المسلّح : يستطيعون أن يصلوا إلى ما يريدون، وأن يحقّقوا ما ينشدون، فإذا قلنا : لا . . إذا صرخ منّا صارخ . . إذا ضرب منّا ضارب قنبلة، قالوا : هذا هو الإرهاب . . قاوِموا الإرهاب . . احذروا من الإرهاب . . حطموّا الإرهاب ! حتى إنّهم يريدون أن يوقعوا الفلسطينيّين بعضهم ببعض، يريدون من السلطة الفلسطينيّة أن تضرب الفلسطينيّين الذين يدافعون عن أرضهم وديارهم وأموالهم وأعراضهم وحرماتهم ودينهم وتاريخهم ومقدّساتهم، فهؤلاء – فيِ نظرهم – إرهابيّون، هؤلاء دمويّون، والذين ينفذّون مخطّطاتهم بالعنف والدم ليسوا إرهابيّين .

---

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة فيِ ٢٤ / ٥ / ١٤١٨ هـ .

هذا هو الذى نشهده اليوم.

إسرائيل ماضية فى طريقها، والعرب يستنكرون ويصرخون فى بعض الأحيان صرخات ضعيفة متهافتة، ليست صرخات عنيفة قويّة مزلزلة، ثمّ تسكت هذه الصيحات، وتضعف هذه الصرخات إلى أن تتلاشى، وتبدأ إسرائيل فى شىء جديد.

ماذا صنع النّاس بعد قرية (أبو غنيم) ومستوطنة أو مستعمرة (أبو غنيم)؟

الآن أصبح الأمر يتعلّق برأس العمود.. أمام المسجد الأقصى.. الدخول فى المنطقة الإسلامية العربية المقدّسة نفسها. ويُستولى على بيت أحد الفلسطينيّين الذين سافروا إلى الخارج فى أمر من الأمور، ولم يكد يعود الرجل حتى وجد بيته قد استولى عليه بدعاوى عريضة ووثائق مزوّرة. هذا المليونير الأمريكى القادم من (ميامى) فى أمريكا الذى يدّعى ملكيّة هذا البيت: من الذى أعطاه هذا الحق؟ ومن الذى يعطى أىّ فرد أن يبيع ملكه؟

فى مثل هذه الحالات لا يجوز لفرد أن يبيع بيته وملْكَه لأجنبى.

يحرم حرمة مؤكّدة على كل فلسطينى أن يبيع شبراً من أرضه لأجنبى، لا يجوز بحال من الأحوال أن يبيعه، وخصوصاً فى القدس وحول المسجد الأقصى.

من باع بيته فقد باع دينه، وباع عرضه، وباع أهله، وباع وطنه، وباع كلّ المقدّسات.

هؤلاء يزعمون أنّ لهم الحق فى هذا، ويضحكون علينا، ويضحكون على لحانا، ويسخرون منّا. حينما احتجّ الناس على هذا الأمر ماذا فعل ((نتنياهو))؟ زعم ((نتنياهو)) إنّه لم يكن يعلم بهذا !! وهذا كذب، فقد ثبت أنّ هذا الأمر بُحث فى مجلس الوزراء وأقرّه مجلس الوزراء، ثمّ قال: نحن نخرج هذه الأسرة اليهودية التى تسكن هذا البيت، ونُسكن فيه طلبة من طلاّب التلمود.. من الطلاّب الدينيّين! وهؤلاء أشدّ خطورة من الأسرة. على من يضحك هؤلاء الناس؟!

وإنّ إسرائيل ماضية فى طريقها ومستمرّة فى هذا الطريق، ونحن – للأسف – كأنّما نحن عاجزون.

الفلسطينيّون، وأكثر من مائتي مليون من العرب، وأكثر من مليار وثلث مليار من المسلمين، يقفون عاجزين أمام هذا الأمر!

لماذا لا نقاوم؟

قالوا: السلام! ولا زالوا يردّدون: السلام!

أيّ سلام؟ (نتنياهو) نفسه قال عن اتفاق (أوسلو): إنّه مات! وهم الآن يسعون إلى دفنه، ولكن جماعة منّا لا يريدون أن يدفنوا هذا الميّت بعد أن تعفّنت جثته وأنتن وظهرت رائحته في كلّ أفق، لا يريدون أن يستريحوا من هذا الميت ويدفنوه.

لا زالوا يتحدثون عن هذا السلام وإحياء السلام!

وأيّ سلام؟ وهل كان السلام قد بدأ من أوّل الأمر؟ إنّه لم يبدأ سلام صحيح، والسلام العادل الشامل لم يبدأ، السلام الحقيقي لم يبدأ منذ اتفاقية (أوسلو)، وهذا ما أعلنّاه من فوق هذا المنبر ولا زلنا نعلنه.

كيف يتمّ سلام: وقضيّة القدس معلّقة، وقضيّة اللاّجئين المشردّين بالملايين من أبناء فلسطين معلّقة، وقضيّة الحدود معلّقة، وقضيّة المستوطنين – الذين يدخلون البلد لليلة أو ليلتين فيستمرون فيها كما فعلوا في الخليل وكما يريدون أن يفعلوا الآن في رأس العمود – معلّقة؟!

قضيّة القدس لازالت معلّقة إلى اليوم. اليهود يريدون أن يغيرّوا المدينة تغييراً كلّياً.. تغييراً جذرياً جوهرياً، ثم يأتون في النهاية ويقولون: هذه بلدة ليس فيها عرب وليس فيها مسلمون، هذه لا يوجد فيها إلاّ أفراد معدودون! بعد أن يعملوا بكلّ ما يستطيعون على تفريغها من أهلها.

لا يسمحون لأحد بالتوسّع.. ببناء دار، بينما يسمحون لليهود أن يبنوا في كلّ مكان، حتى أصبحت القدس محاطة بالقرى اليهوديّة.

نحن للأسف نواجه هذا ونحن صامتون صمت القبور، وإذا تكلّمنا تكلمنا بصوت خفيض، وإذا عمل بعض أبنائنا شيئاً للردّ على هذا المنكر قام منّا من يدينوهم وينكر عليهم!

OBEIKAN.COM

ماذا يفعل المظلوم؟ المظلوم من حقّه أن يصرخ.

من الناس من يقولون للمضروب: لا تصرخ، قبل أن يقولوا للضارب: لا تضرب! وهذا ما رأيناه عند أمريكا وغيرها من القوى العظمى، يريدون للعرب أن يستسلموا ولا يقولون لإسرائيل: كُفّي عن عدوانك!

الحفريّات تحت المسجد الأقصى مستمرة، ونحن الآن في ذكرى مرور عام على فتح النفق تحت المسجد الأقصى الذى قاومه الفلسطينيّون واستشهد فيه نحو (ثمانية وثمانين) من أبناء فلسطين. ولا زالت الحفريّات مستمرة، وقد سمعت بأذني من أحد الإخوة: الشيخ رائد صلاح - رئيس بلديّة أم الفحم في فلسطين المحتلّة ورئيس الحركة الإسلاميّة هناك - وهو يقول: إنّه أتيحت له فرصة أن يرى هذه الحفريّات بنفسه - بحكم وجوده في إسرائيل ورئاسته لإحدى البلديّات - وإنّها توشك أن تؤذن بانهيار المسجد خلال سنوات.

وهذا ما قلته وأعلنته مراراً، قلت: إنّ إسرائيل تعرف متى سينهار المسجد الأقصى ومتى سيتهاوى بناؤه، تعرف هذا ولكنّها موقتة الوقت المعلوم الذى تعلن فيه هذه الحقيقة، وتسحب فيه بعض الأعمدة فينهار هذا المسجد.

ستختار الوقت المناسب حينما لا يستطيع العرب ولا المسلمون أن يفعلوا شيئاً إلاّ الصراخ.

أين المسلمون؟

إنّ حريق المسجد الأقصى سنة (١٩٦٩م) جعل المسلمين يتنادون بقمّة إسلاميّة من أجل المسجد الأقصى، كان ذلك في أيّام الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، الذى دعا إلى عقد أول مؤتمر قمه إسلامى، واجتمع الملوك والرؤساء والأمراء من كلّ بلاد الإسلام فى المغرب، وأدّى ذلك إلى إقامة (منظمة المؤتمر الإسلامى).

الآن الأمر أخطر من حريق المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى وقبّة الصخرة والقدس كلّها ستذهب، فأين العرب؟ وأين المسلمون؟ لا زالوا يلهثون ويلهثون وراء هذا السراب الذى سمّي

بـ (السلام)، وهو ﴿ .. **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا** .. ﴾ [النّور: ٣٩].

يلهثون وراء هذا السراب، وإسرائيل لا تعترف به ولا تهتمّ به، ولكن نحن الذين نتشبث به. نتشبث بهذه الحبال الواهية ونركض وراءها هنا وهناك من أجل الإبقاء على شيء لا قيمة له.

إسرائيل لا تهتم بأى اتفاق، و(نتنياهو) يقول: نبدأ اتفاقية جديدة. كأنّ الاتفاقية القديمة لم تكن مع دولة (إسرائيل)؟! وهذا ما ذكره الله تعالى عن هؤلاء وأمثالهم: ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ** ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، نزلت هذه الآيات في يهود الأمس في أيام النبي ﷺ، ويهود اليوم هم نسخة من آبائهم، إنّهم على سنّتهم وعلى آثارهم يُهرعون.

يا أيّها الإخوة المسلمون!

إنّ القدس تضيع منّا، فأين موقفنا؟

● **مكانة القدس فى الإسلام:**

اليهود يدّعون أنّ لهم حقاً دينياً وحقاً تاريخياً في القدس، ومن يقرأ التوراة وملحقات التوراة لا يجد فيها أىّ تقديس للقدس، ولا أىّ اهتمام بها. على خلاف الأمر عندنا نحن المسلمين، القدس والمسجد الأقصى له في عقيدتنا وشريعتنا وعباداتنا وأذكارنا مكان كبير.

١ ـ القدس هي القبلة الأولى: صلّى المسلمون بعد فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات صلّوا ثلاث سنوات وقبلتهم بيت المقدس، وبعد الهجرة أيضاً ظلّوا ستة عشر شهراً يصلّون إلى بيت المقدس حتى حوّل الله القبلة إلى البيت الحرام. وأحدث اليهود ضجّة على هذا التحويل وقال من قال: إنّ صلاة المسلمين السابقة ضاعت لأنّها لم تكن إلى قبلة صحيحة، وقال الله تعالى: ﴿ .. **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وفي المدينة المنوّرة مَعْلَمٌ أثريّ بارز اسمه (مسجد القبلتين)، صلّى فيه المسلمون إلى المسجد الأقصى ولمّا بلغهم الخبر (أنّ القبلة غُيرّت) تحوّلوا في نفس الصلاة إلى القبلة الجديدة.

٢ – والقدس أرض الإسراء والمعراج: وهذا ما ذكره القرآن وفيه سورة سُميت بهذا الاسم: (سورة الإسراء)، وبدأت بهذه الآية: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** .. ﴾ [الإسراء: ١]. لم يوصف المسجد في مكة إلاّ بأنّه المسجد الحرام، ولكن المسجد الأقصى ذكره الله بالبركة « الذي باركنا حوله »، وإذا كان ما حوله مباركاً فأولى أن يكون هو مباركاً.

كان الإسراء إلى هذه الأرض، ثمّ كان المعراج منها، وهذا يدل على أنّ الرحلة إلى هذه الأرض مقصودة، كان يمكن أن يتمّ المعراج من مكّة.. من المسجد الحرام إلى السموات العلى، ولكن الله تعالى أراد لرسوله أن يمرّ على القدس ويصلي إماماً بالأنبياء، ويؤذن بالتغيير الجديد في القيادة الدينية للعالم، وأنّها انتقلت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.. إلى أمّة جديدة.. أمّة عالميّة هي خير أمّة أخرجت للناس، ليست أمّة عنصريّة.

وأراد الله بهذه الرحلة الربط بين المسجدين المعظّمين: (المسجد الحرام) مبتدأ الإسراء و(المسجد الأقصى) منتهى الإسراء، ليظلّ في وجدان الإنسان المسلم الارتباط بين المسجدين المعظّمين، فالتفريط في أحدهما يؤذن بالتفريط في الآخر.

القدس أرض الإسراء والمعراج، ومن الذكريات حائط البرّاق، ومسجد الصخرة، وهذه كلها من ذكريات الإسراء والمعراج.

٣ – والقدس كذلك هي أرض البركات والنبوّات: وصف الله أرض فلسطين كلّها بالبركة في خمس آيات من كتابه العزيز: ﴿ .. **من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا الذي باركنا حوله** .. ﴾ [الإسراء: ١] وقوله عن إبراهيم:

﴿ . .وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١] وقوله عن سليمان: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا . . ﴾ [الأنبياء: ٨١]

بل قال عدد من المفسّرين: إنّ قوله تعالى: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ [التين: ١] يقصد أرض التين والزيتون وهي أرض بيت المقدس، بدأ الله بالقسم بها، هذا ذهب إليه عدد من كبار المفسّرين. وبهذا تتناغم وتنسجم هذه الأقسام الثلاثة: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾ الأرض التي ظهر فيها عيسى عليه السلام، ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ [التين: ٢] الأرض التي كلّم الله عليها موسى عليه السلام، ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين: ٣] الأرض التي ظهرت فيها نبوّة محمد عليه الصلاة والسلام.

فهذه مكانة القدس.

٤ – والقدس كذلك هي أرض الرباط والجهاد: فقد أعلم الله رسوله أنّ هذه الأرض ستتعرّض للغزو والاحتلال، وعلى المسلمين أن يرابطوا فيها ويجاهدوا الأعداء ويقاوموهم حتى لا يحتلوها، وإذا احتلوها جاهدوهم حتى يحرّروها، وفي هذا جاء الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند عن أبي أمامة الباهلي أنّ النبي ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمّتي على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم من خالفهم، إلاّ ما أصابهم من لأواء [أي ما أصابهم من أذى وعنت] حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»(١)، هذه الطائفة المرابطة في سبيل الله.

فهذه منزلة القدس في الوجدان الإسلامي . . في الضمير الإسلامي . . في الوعي الإسلامي . . في الاعتقاد الإسلامي.

٥ – والقدس – أيضا – ثالث المدن المعظّمة في الإسلام:

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه في المسند (٥/٢٦٩)، كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٨٨) وقال: رواه عبد الله (ابن الإمام أحمد) وجادة عن خطّ أبيه، والطبراني ورجاله ثقات وفيه: «إلاّ من جانبهم» ولعلّها غلط ناسخ أو طابع.

المدن المعظّمة عندنا:

١ – مكة المكرمة: فيها بيت الله الحرام والمسجد الحرام.

٢ – والمدينة المنوّرة (طيبة): التي شرّفها الله بمسجد النبي ﷺ، وضمّت رفات رسول الله ﷺ وقبر رسول الله ﷺ.

٣ – والمدينة الثالثة المعظّمة في الإسلام هي: مدينة (القدس) التي تضمّ المسجد الأقصى.

وهذه هي المساجد المعظّمة في الإسلام، والتي أعلن النبي ﷺ أنّه لا تُشدّ الرحال إلاّ إليها. كلّ المساجد متساوية في المثوبة إلاّ هذه المساجد الثلاثة، أيّ مسجد صلّيت فيه فالمثوبة واحدة إلاّ أن تذهب إلى مسجد لتسمع فيه خطيباً، أو تحضر فيه درساً، أو تلقى فيه أخاً صالحاً أمّا الصلاة فهي متساوية في كلّ المساجد إلاّ هذه المساجد الثلاثة، كما قال الحديث: «لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[١] أي لا يجوز أن ينوي الإنسان السفر ويعزم على الارتحال للصلاة في مسجد معيّن بقصد زيادة المثوبة فيه، إلاّ هذه المساجد الثلاثة، وكلّ المساجد متساوية.

فهذه المدينة.. مدينة المسجد الأقصى تتعرّض الآن لهذا الخطر، فأين المسلمون؟ أين العرب؟ أين الرجال الذين يبيعون أنفسهم لله؟

● **لا حل إلا الجهاد:**

والله لا يمكن أن يقاوم هذا الطغيان الصهيوني إلاّ القوّة.. إلاّ الجهاد.. إلاّ المقاومة.. إلاّ الانتفاضة.

لقد مضى على ذكرى الانتفاضة عشر سنوات. هذه الانتفاضة هي التي لفتت أنظار العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وهي التي أسفرت عن جيل

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة. ورواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري. ورواه ابن ماجه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص (فيض القدير للمناوي: ٦/٤٠٣ برقم ٩٨٠٢).

OBEIKAN.COM

الحجارة الذي كان يقاوم بالحجارة، وأسفرت عن المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي.

لقد قال من قال : إنّه لم نعد نحن بحاجة إلى الانتفاضة بعد أن حققّنا السلام! وأسكتوا صوت الانتفاضة بدعوى السلام المزعوم، ولم نر لهذا السلام أثراً.

يجب أن تعود الانتفاضة كما كانت، وأقوى ممّا كانت. يجب أن نقاوم التسلّط اليهودي، والبغي اليهودي، والطغيان اليهودي على حقوق الناس، وعلى حقوق الإسلام، وعلى حقوق المسيحية، وعلى حقوق المسلمين، وعلى حقوق المسيحيّين، ولا يقاوم الطغيان إلاّ بالقوّة.

صحيح ليست لدينا ترسانة نوويّة كما عند إسرائيل. ولا نملك من الأسلحة ما تملكه إسرائيل، ولكنّا نملك الحق، والحق أقوى من القوة. الحق يظل دائماً أقوى من القوّة إذا استمسكنا بُعراه، وتجمعنا عليه، ولم نتنازل عنه، ولم نفرّط فيه.

لماذا تنتصر علينا إسرائيل؟

تنتصر علينا إسرائيل لأنّها تصمّم ونحن مسترخو العزائم، إسرائيل مصمّمة على أن تصل إلى ما تريد وتنفّذ، ولكنّ عزائمنا رخوة.

إسرائيل تخطّط لما تريد، وتعمل على تنفيذ تخطيطها، ونحن نرتجل ولا نخطّط، ولا نجد من يخطّط لنا. دائماً نشكو أنّنا أسرى مخطّط جهنّمي يكيد لنا ويمكر بنا ويفعل بنا كذا وكذا، وهل هذا عُذرٌ لنا؟ إلى متى يُخطط لنا ولا نُخطّط لأنفسنا؟ أليس لنا عقول؟ لنا – والله – عقول نستطيع أن نخطط بها.

ولكن هنا أيضا : إسرائيل متجمّعة ونحن متفرّقون، إسرائيل على قلّة عددها مجتمعة القلب والفكر والعزم، إسرائيل على قلب رجل واحد، كلّ إسرائيل، لا تظنوّا أنّ هناك فرقاً جوهريّاً بين (العمل) و (الليكود)، كلا الحزبين متفق على ما يريد، ولكن الخلاف : متى نؤجّل هذا ومتى نعلن هذا؟ الخلاف في الوسائل أو في بعض الوسائل، أو في الإعلان، أو في كيفيّة معالجة الأمور بما لا

يثير. إنّما الكل متفقون على أن يبتلعوا القدس، الكلّ متفقون على أن لا يبقى باقية للعرب والمسلمين فى القدس الشريف.

اليهود مجتمعون ونحن متفرّقون للأسف، والتفرّق يضعف الكثرة، والاتحاد يقوّى القلّة.

اليهود يبذلون ونحن لا نبذل، اليهود الذين وُصفوا بالجُبْن والبخل: ﴿ ... **أحْرَصَ النَّاس علَىٰ حَيَاةٍ** .. ﴾ [البقرة: ٩٦] ﴿ **لا يُقَاتلُونكُمْ جميعا إلاَّ في قُرى مُحصَّنَةٍ أَوْ من وَرَاءِ جُدُرٍ** .. ﴾ [الحشر: ١٤]، وهم عبّاد الذهب.. عبّاد العجل الذهبى، هؤلاء أصبحوا يبذلون، ويدفعون الملايين، ويدفعون الأنفس، ونرى المستوطنين يقاتلون ويقاومون.

هم تغيرّوا ونحن تغيرّنا. هم تغيرّوا إلى الأحسن، ونحن تغيرّنا إلى الأسوأ والعياذ بالله.

ولكن هذه الأمّة لا تخلو من رجال صادقين، هؤلاء الشباب الذين يضحّون بأنفسهم فى عمليّاتهم الاستشهاديّة من أجل أن يُسمعوا العالم صوت وطنهم وصوت قضيتّهم. هؤلاء الشباب الذين يُستَشهَدون فى سبيل الله، يسعى أحدهم إلى الموت ركضا، لا يبالى أسقط على الموت أم سقط الموت عليه، وهو ينشد:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أىّ جنب كان فى الله مصرعى

هذا الشباب وحده هو الأمل، هو موضع الرجاء، هو الذى يستطيع أن يسمع إسرائيل صوت الحق وكلمة الحق.

لن تسمع إسرائيل الاحتجاجات، ولا الاستنكارات، ولا المذكّرات، ما دامت عندها الأسلحة النوويّة والترسانة العسكريّة، وما دامت تؤيدها أمريكا: المال الأمريكى، والسلاح الأمريكى، والفيتو الأمريكى مع إسرائيل.

ماذا نملك نحن أمام هذا؟ نملك الإيمان بحقنا، نملك الاعتماد على ربنا، ثم

نملك الاعتماد على أنفسنا. والله إنّا لنستطيع أن نفعل الكثير، نستطيع أن نقف صفا ندافع عن القدس.

لو كان لنا خلافة، لو كان لنا خليفة أو إمام مُبايع من المسلمين، ونادى المسلمين: يا مسلمون هبّوا لنجدة الأقصى، لهبّ المسلمون من كلّ مكان وذهبوا إلى هذا المسجد ووقفوا ضد اليهود، وليَقتُلوا الآلاف وعشرات الآلاف، لكن لا يستطيعوا أن يقتلوا كلّ المجاهدين ولا أن يواجهوا كل المسلمين.

المشكلة أننا متفرّقون، وليس لنا قيادة، والذين سعوا في إزالة هذه القيادة العالميّة هم الصهاينة.

حاول (هرتزل) مؤسس المؤتمر الصهيوني العالمي - ومؤسس الصهيونيّة العالميّة - الرسمية - أن يغري السلطان عبد الحميد - آخر سلاطين آل عثمان أو قبل الأخير - بالمال.. بالرشوة.. بالملايين من الليرات الذهبيّة، شيء لجيبه وشيء للدولة، ولكن الرجل رفض وقال: والله لا أستطيع أن أعطيكم شبراً من فلسطين وأنا حي، هذه أرضي وأرض شعبي وأرض آبائي وأجدادي ولا يمكن أن أفرّط فيها.

ولذلك قال (هرتزل): أنّه لم يعد لنا خيار أمام تعنّت هذا الرجل وصلابته إلاّ أن نزيحه. وكانوا أن تآمروا مع القوى التركية العلمانية فأزاحوا هذا الرجل، وجاءوا بحزب (الاتحاد والترقّي)، الحزب العلماني القومي الطوراني الذي يقف ضد العرب والعروبة والإسلام.

● **ذكريات مريرة في هذا العام:**

يا أيها الإخوة:

نحن في هذه السنة نذكر ذكريات عدّة، كلّها ذكريات مريرة.

نذكر مرور مائة سنة على المؤتمر الصهيوني الأوّل، قرن كامل مرّ على هذا المؤتمر الذي عقد في مثل هذه الأيّام (سنة ١٨٩٧م) وأعلن فيه (هرتزل): أنّ الدولة اليهودية ستقوم بعد نصف قرن، وقامت بالفعل.

ونذكر أيضا مرور ثمانين عاماً على وعد (بلفور) الذي صدر في (الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧م) أيام الحرب العالميّة الأولى. و(بلفور) هو وزير خارجيّة بريطانيا، وقد وعد اليهود بإقامة وطن قوميّ لهم في فلسطين! وعلّق على ذلك من علّق: بأنّ من لا يملك وعد من لا يستحق! الذي لا يملك – وهو بريطانيا – تعطي أرضاً غير أرضها لمن لا يستحقها!

وعلّق على ذلك مفتي فلسطين الأكبر المجاهد الكبير الحاج أمين الحسيني رحمه الله بكلمته الشهيرة: إنّ فلسطين ليست وطناً بغير شعب حتى تستقبل شعباً بغير وطن.

مرّ على هذا الوعد ثمانون عاماً.

ومرّ نصف قرن علي قرار تقسيم فلسطين (سنة ١٩٤٧م)، وهو القرار الذي رفضه العرب، والآن يتمنّون لو تحقق هذا التقسيم. لأنّ التقسيم ما أعطاه للعرب أكثر بكثير جداً ممّا لهم اليوم، ولكن العرب رفضوه، وكان من حقّهم أن يرفضوه، كيف تقسم وطني بيني وبين إنسان دخيل عليّ جاء من أرض غريبة؟! هل يستطيع الإنسان أن يقسم وطنه؟ هل يستطيع الإنسان أن يقسم زوجته بينه وبين غاصب آخر: لي أيام ولك عدّة أيام؟! هناك أشياء لا تقبل القسمة.

مرّ خمسون عاماً على قرار تقسيم فلسطين الذي كان تمهيداً لقيام دولة (إسرائيل) بعد ذلك بسنة (سنة ١٩٤٨م).

وتمرّ بنا ذكرى ثلاثين عاماً على حرب الأيام الستة المشهورة.. الهزيمة الكبرى.. هزيمة حزيران أو يونيو ١٩٦٧م.

مرّت ثلاثون سنة على هذه الذكرى الأليمة التي سمّوها (النكسة). ولا أدري لماذا سمّوها النكسة؟ هي نكبة كبرى أصابت الأمّة بعد نكبة سنة ١٩٤٨م. ولذلك سميتها في كتاب لي (النكبة الثانية)[١].

---

(١) هو كتاب للشيخ اسمه (درس النكبة الثانية.. لماذا انهزمنا؟ وكيف سننتصر؟) طبع مكتبة وهبة بالقاهرة. والرسالة ببيروت.

النكبة الأولى سنة ١٩٤٨م حينما أخرج الفلسطينيون من ديارهم وقامت دولة إسرائيل، والنكبة الثانية هى هذه نكبة ١٩٦٧م.

وتمرّ بنا ذكرى أخرى وهى مرور عشرين عاماً على زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل (سنة ١٩٧٧م). وكانت هذه بداية الخلل فى وحدة الموقف العربى. كان العرب يقفون صفّاً واحداً حتى بدأت هذه الزيارة.

والآن بعض الناس يقولون: ليتنا قبلنا ما سعى إليه السادات! كأنّنا ننزل من سيء إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشدّ سوءاً، هكذا ننحدر دائماً.

هذه ذكريات مريرة تمرّ على أمتنا.

والآن ما الحل؟

ما الحلّ؟ وما العلاج؟

لا نجد أمام الصلف الإسرائيلى، والاستكبار الإسرائيلى، والغرور الإسرائيلى، والفجور الإسرائيلى، إلاّ الجهاد.

لا يمكن أن نقبل مع هؤلاء شيئاً حتى نستردّ حقنا، وذلك ما دعا إليه مجلس جامعة الدول العربية من استمرار المقاطعة مع إسرائيل ومقاومة التطبيع مع إسرائيل، .....

لا يجوز أن نطبّع العلاقات مع إسرائيل.

كيف يكن الشيء غير الطبيعى طبيعيّاً؟ كيف يطبع الإنسان علاقاته مع عدوّه؟!

ولهذا على كلّ منا فريضة: أن يقاطع بضائع إسرائيل، وأن يقاطع كل ما يجيء من إسرائيل. لا نطبّع العلاقات معها لا سياسياً ولا ثقافياً ولا اقتصاديا ولا اجتماعياً ولا بأيّة طريقة من الطرق[١].

---

(١) للشيخ القرضاوى فى ذلك فتوى كان لها الأثر القوى فى مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، تجاوب معها المسلمون فى شتى بقاع الأرض، ونوهت بها وسائل الإعلام العربية والإسلامية، تراجع الفتوى فى كتابه (فتاوى معاصرة) الجزء الثالث طبعة دار القلم – والمكتب الإسلامى.

لقد رفضت حينما سئلت: أيذهب المسلم إلى إسرائيل ليصلّي في المسجد الأقصى؟ قلت: لا، لا يصلّي في المسجد الأقصى تحت العلم الإسرائيلي.. تحت الراية الصهيونيّة.

لا ندخل ويختم على جوازنا ختم إسرائيل. الفلسطينيون يفعلون ذلك بحكم وضعهم، إنما لا يجوز لمسلم غير فلسطيني أن يذهب إلى الصلاة والراية الإسرائيلية مرفوعة خفّاقة.

ندّخر ذلك ولا نصلّي، لكن عندما يتحرّر المسجد الأقصى نهرول إليه لنصلي فيه، كما كان يتمنّى الملك فيصل رحمه الله: أن يصلّي في المسجد الأقصى بعد أن يتحرّر من يد الصهيونية ويعود إلى يد أهله العرب المسلمين [1].

إنّنا نناشد العالم كلّه: نناشد الفلسطينيين جميعاً بكلّ فصائلهم، ونناشد العرب مسلميهم ومسيحييهم - وقد حضرت مؤتمراً في بيروت تحت عنوان: مسلمون ومسيحيّون معاً من أجل القدس - ونناشد المسلمين عربهم وعجمهم - فالمسجد الأقصى ليس للعرب هو لكل المسلمين - ونناشد الأحرار الشرفاء في كلّ هذه المعمورة فوق الكرة الأرضيّة، أن يقفوا مع أبناء القدس، أن يقفوا مع الحق، أن يقفوا مع العدل، ضد الظلم والبغي المتمرّد الذي تمثّله القوة الإسرائيليّة الصهيونيّة.

نناشد الأحرار جميعا أن يتكاتفوا في وجه هذا الظلم، حتى يحقّ الله الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

---

(١) راجع فتوى الشيخ كاملة تحت عنوان (السفر إلى المسجد الأقصى) في الجزء الثالث من (فتاوى معاصرة).

OBEIKAN.COM

● **الخطبة الثانية:**

إمّا بعـد:

فطالمـا ناديت من فوق هذا المنبر بأنّه إذا لم يكن لنا خلافة ولا خليفة ولا إمام ينادي المسلمين: أن هبّوا لإنقاذ الأقصى، فينبغي أن يكون البديل المؤقت عن ذلك: مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين، يمثّل علماء المسلمين في المشرق والمغرب، في أرض الإسلام جميعا[1]. يجتمع هذا المؤتمر ليبحث قضيّة المسجد الأقصى وواجب المسلمين نحوها، وينشئ صندوقاً لإعانة المسلمين وتوطين المسلمين في المسجد الأقصى، وتوطين العرب حتى مسيحييهم في القدس، حتى لا يهاجروا تحت الضغط الإسرائيلي والاضطهاد الإسرائيلي.

لابدّ أن ينشأ هذا الصندوق، وتنشأ هيئة عليا لإنقاذ الأقصى، هيئة عالميّة إسلاميّة لا تمثّل العرب وحدهم، بل تمثّل العرب والمسلمين، وحتى الأحرار من أبناء العالم كله.

نريد أن لا يمرّ ما تفعله إسرائيل دون أن نقف موقفاً إيجابياً ضد هذا العدوان الصارخ المتأله المستفزّ المتحدي الذي لا يبالي بأحد، ولا يبالي بأمم متحدة، ولا يبالي بمؤتمر إسلامي، ولا يبالي بجامعة عربيّة، ولا يبالي بفلسطين، ولا يبالي باتفاقيات، إنه يبالي بشيء واحد هو (القوة العسكرية)، ويقول ويفعل، ويريد وينفّذ ما يريد تحت أسنّة الرماح والسلاح.

لا بدّ أن نقف موقفاً إيجابيّاً والله معنا، ولن يترنا أعمالنا، ونحن نؤمن بأنّ الحقّ لنا، قد نكون قد غُلبنا في هذه المرحلة، ولكن التاريخ دوّار، والأيام دول، ﴿ .. **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** .. ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ودوام الحال من المحال، وإن مع اليوم غدا، وإنّ غدا لناظره قريب ﴿ .. **إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ** ﴾ [هود: ٨١]؟.

---

(١) للشيخ القرضاوى جهود حثيثة لإنشاء (اتحاد عالمى لعلماء الإسلام) ليقف علماء الإسلام موقفا موحداً فى قضايا الأمة الهامة، والاتحاد على وشك التأسيس والإنشاء.

اللهم انصر عبادك المؤمنين، اللهم انصر عساكر الموحّدين، اللهم انصر حزبك المفلحين. اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وإخواننا المجاهدين في لبنان، اللهم أيّدهم بروح من عندك، وأمدّهم بملأ من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام. اللهم أيّد إخواننا المجاهدين في كلّ مكان، وأنقذ إخواننا المضطهدين في كلّ مكان.

﴿ .. **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

* * *

OBEIKAN.COM

(٧) القدس عربيّة إسلاميّة[١]

● **الخطبة الأولى:**

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الكلام عن القدس لا ينتهي:

لا زال حديثنا عن القدس موصولاً، وينبغي أن يستمرّ حديثنا عن القدس وعن فلسطين.. عن أرض النبوّات والبركات.. عن أرض الإسراء والمعراج.. عن أرض المسجد الأقصى الذي باركَ الله حوله.. عن القبلة الأولى.. عن أرض الرباط والجهاد.

ينبغي أن يظلّ حديثنا عن هذه القضيّة ما دامت هذه القضيّة ساخنة، وما دامت المؤامرات تُحاك لتهويد القدس.. لإخراجها من الدائرة العربية الإسلاميّة. لتصبح يهوديّة خالصة.

تهويد القدس هو المؤامرة الكبرى التي تحاك الآن عن طرق شتّى، منها طريق المستوطنات، ومنها الحفريّات - التي لا تزال تعمل عملها ليل نهار، وصباح مساء، وصيف شتاء - تحت المسجد الأقصى. ولا ندري أيّ وقت حدّده اليهود لينهار فيه هذا المسجد ويقع، ويصبح أنقاضا، والمسلمون يتفرّجون، وقد يصرخون ويحتجّون، ولكنّهم لا يصنعون شيئا.

يجب أن يظلّ حديثنا عن القدس وعن إسرائيل التي تدبّر أمرها للقدس، وتبيّت مكيدتها للقدس، والعرب في غفلة لا هون، والمسلمون في غمرة ساهون، مختلفون فيما بينهم واليهود قد أجمعوا أمرهم.

إنّ القدس عربيّة إسلاميّة، ويجب أن تظلّ عربيّة إسلاميّة. وفلسطين عربيّة إسلاميّة، ويجب أن تظلّ عربيّة إسلاميّة.

---

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢/٦/١٤١٨ هـ الموافق ٣/١٠/١٩٩٧م.

OBEIKAN.COM

يدّعي اليهود حقوقاً لهم في فلسطين وفي القدس، ولكنّها دعاوى لا يسندها حقّ، ولا يسندها منطق، ولا يؤيّدها دليل معتبر، لا من دين ولا من تاريخ.

هل لليهود حق دينى فى فلسطين؟

يدّعي اليهود أنّ لهم حقّاً دينّياً بمقتضى وعد وعده الله تعالى لإبراهيم ومن بعده إسحاق ومن بعده يعقوب، أنّه سيعطيهم الأرض المقدسّة لهم ولنسلهم! ولكنّ إبراهيم مات وعمره مائة وخمس وسبعون سنة، وإسحاق مات وعمره مائة وثمانون سنة، كما تحكي التوراة والله أعلم، ويعقوب من بعدهما. لم يملك أحد من هؤلاء من فلسطين شبراً واحداً، عاشوا فيها غرباء مهاجرين ولم يكن لهم فيها قدم راسخة، حتى إنّ سارة زوج إبراهيم عليهما السلام حينما ماتت لم يكن يملك أرضاً يدفنها فيها، فطلب من أحد الفلسطينيّين أن يعطيه مكاناً لقبرها، فأعطاه مكاناً في مغارة تسمّى مغارة (الماكفيلا)، وتبرّع الرجل لإبراهيم بهذه الأرض، ولكن إبراهيم أبى إلاّ أن يشتريها منه، فهل يشترى الإنسان ملكه؟!

وهكذا عاش إبراهيم وعاش ابنه إسحاق وعاش حفيده يعقوب، ومعروف أنّ يعقوب مات في مصر حينما ذهب هو وبنوه إلى يوسف حينما قال: ﴿ **اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٣] وجاء يعقوب وذرّيته ودخلوا مصر وعاشوا فيها كما تقول التوراة أربعمائة وثلاثين عاماً.

عاش إبراهيم وإسحاق ويعقوب في أرض فلسطين مائتين وثلاثين عاماً، جاءوا من العراق، لم تكن هذه أرضهم، جاءوا غرباء ولم يكن لهم فيها أىّ ملك لأنّهم كانوا رعاة: كانوا بدواً يرعون الأغنام والإبل وهذه الأشياء، فلم يكونوا في حاجة، كانوا رُحّلاً، وهكذا حينما ذهبوا إلى ملك مصر قالوا له: نحن قوم رعاة، فأعطاهم أماكن خارج المدن، ثمّ عادوا إلى فلسطين بعد موسى عليه السلام.

دعوى الحق التاريخى:

أراد موسى أن يدخل هذه الأرض المقدّسة التي كتب الله لهم دخولها – ولم

يكتب لهم البقاء فيها – ومع هذا حينما قال لهم موسى: ﴿ **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٢١] لم يستجيبوا لموسى، موسى الذي أنقذهم الله على يديه، وأغرق فرعون وجنوده أمام أعينهم، وضرب البحر بعصاه فتركه يبسا، موسى هذا لم يستجيبوا لدعائه ليجاهدوا من أجل دخول الأرض و﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾ [المائدة: ٢٢]! وكرّروا هذا: ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة: ٢٤]. وانظروا إلى سوء الأدب: «فاذهب أنت وربك» كأنّه ليس ربّهم، كأنّه رب موسى وحده. فقال موسى في أسف وحسرة: ﴿ **. . رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦]. حرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة، وبقوا في التيه في صحراء سيناء، ولذلك لم يدخلوها إلاّ بعد وفاة موسى، دخلوها مع (يوشع) أو كما تسميّه التوراة (يشوع)، ونقول عنه في كتبنا: يوشع بن نون.

دخلوا بعد وفاة موسى وحدث ما حدث لهم، ولم تقم لهم دولة في فلسطين إلاّ بعد ذلك بمئات السنين في عهد شاؤول وداود وسليمان، ثمّ انقسمت دولتهم أو مملكتهم بعد سليمان عليه السلام إلى دولتين يحارب بعضهما بعضا: دولة (يهوذا) في القدس ودولة (إسرائيل) في نابلس. استمرّت دولة يهوذا أربعمائة وأربعاً وثلاثين عاماً ثمّ جاء (سرجون) ملك بابل فحطّم دولتهم وأسرهم وفعل بهم الأفاعيل. وبقيت الدولة الأخرى مائتين وثمانيا وتسعين عاماً إلى أن جاء بختنصّر – أو نبوخذ نصّر – وقضى على البقيّة الباقية من مملكة إسرائيل. يعني: إحدى الدولتين بقيت (٤٣٤) سنة والأخرى (٢٩٨) سنة، هذا كلّ ما كان لدولة إسرائيل في القدس.

انتهت دولتهم منذ خمسة قرون – أو أكثر – قبل الميلاد، والآن بعد خمسة

وعشرين قرناً جاءوا يقولون إنّ لنا حقّاً تاريخيّاً ! أىّ تاريخ لكم؟! بقيتم فى فلسطين أصحاب دولة أربعة قرون ونصف، ومَنْ كان فى فلسطين قبلكم؟

كان العرب الكنعانيّون، وقبل الكنعانيين كان العرب اليبوسيّون. فالعرب هم أصحاب هذه الأرض، والمسلمون ملكوها منذ أربعة عشر قرناً. وحينما دخلها المسلمون لم يكن فيها يهودىّ واحد، فإن الرومان حرّموا على اليهود أن يدخلوا القدس، وحينما ذهب عمر لفتح المدينة كان من شروط الصلح والاتفاقية: ألاّ يساكن اليهود أهلها. فالمسلمون لم يأخذوها منهم، ولم يكونوا فيها بل كان محرّماً عليهم دخولها، فأىّ حق تاريخىّ لهم؟!

ثمّ المؤرّخون يقولون: إنّهم حتى فى أعظم أوقات ممالكهم اتساعاً، لم يملكوا إلا أجزاء من فلسطين، لم يملكوا فلسطين كلّها فى أىّ وقت من الأوقات، إلاّ فى هذا العصر بعد حرب حزيران – أو يونيو – ١٩٦٧م.

فأين الحقّ التاريخى وقد ذهبت دولتهم ثم انتهى وجودهم نهائيّاً؟! ذهبت دولتهم بالضربة البابليّة.. بانتصار بابل عليهم وسحقهم سحقاً، ثمّ انتهى الوجود اليهودىّ من فلسطين بقضاء الرومان عليهم قضاءاً نهائيّاً وتفريقهم شذر مذر وتقطيعهم فى الأرض كما قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا** .. ﴾ [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨]. قطّعهم الله فى الأرض جماعات وفرقاً، تفرّقوا شذر مذر هذا هو الحقّ التاريخى.

من المقصود بنسل إبراهيم؟

ويقولون لنا حقّ دينى بهذه الوعود لإبراهيم ونسل إبراهيم! فما معنى نسل إبراهيم؟ هل نسل إبراهيم هم ذريته من صلبه أم هم المؤمنون الذين يتبعون نهجه ويسيرون على ملّته؟ إن الأَوْلى بمنطق النبوّة ومنطق الرسالة ومنطق الخلّة التى لإبراهيم ﴿ .... **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** ﴾ [النساء: ١٢٥] أن يكون أولى النّاس به هم المؤمنون، وليس أبناءه من صلبه، فقد قال الله تعالى: ﴿ .. **وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ** ﴾ [الصافات: ١١٣] ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي**

الظَّالمينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] إذا ظلمت ذرّيتك أو أساءت فلا حقّ لها، والقرآن يقول: **﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: ٦٨].

فلو كان هذا لنسل إبراهيم، فنسل إبراهيم الحقيقيّون هم المؤمنون بالحنيفيّة الإبراهيميّة: **﴿.. أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ..﴾** [النحل: ١٢٣] **﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: ١٦١]. فنحن أولى النّاس بإبراهيم.

ثمّ من ناحية أخرى: لو كان المقصود بنسل إبراهيم ذريته من صلبه، لماذا لم يدخل إسماعيل عليه السلام في هذه الذرّيّة؟! لماذا أخرج اليهود إسماعيل من ذرّيّته، وهو ابنه الأوّل، ابنه البكر؟! **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾** [إبراهيم: ٣٩]، لماذا تكون أرض فلسطين لذرية إسرائيل – وهو يعقوب عليه السلام – ولا تكون لذرّيّة إسماعيل عليه السلام؟! هذا ليس منطقاً، لماذا يحُابي الله إسرائيل أو إسحاق على حساب إسماعيل؟! (١).

حقيقة وعد الله لليهود بفلسطين:

ثمّ من ناحية ثالثة: كيف يعد الله قوماً بأرض ليست لهم ويأخذها من أهلها عدواناً وغصبا؟! هذا أمر ليس معقولاً، هذا ليس عدلاً، والله تعالى يحب المقسطين ولا يحبّ الظالمين، فكيف ينتزع أرضاً من أهلها ليعطيها لقوم غيرهم وهم مستقرّون فيها؟!

ثمّ من ناحية رابعة: هل هذا الوعد الذي أعطي لبني إسرائيل – لو أمنّا به كما يقولون – وعد مطلق؟ أو هو وعد مقيّد ومشروط؟ إنّ الذي يقرأ الكتاب المقدّس بقسميه: العهد القديم والعهد الجديد، يجد أنّ هذا الوعد مشروط بأن يحفظ بنو إسرائيل عهد الرب، ويصونوا أوامره، وينتهواعن نواهيه، ويحفظوا التعاليم، وليس عهداً مطلقا.

---

(١) يدعى اليهود: أن إسماعيل غير محسوب في أبناء إبراهيم؛ لأنه ابن أمة! مع أن نصف أولاد اسرائيل (يعقوب) أولاد أمة؛ باعتراف اليهود، وبنص توراتهم، فلماذا يكيلون بكيلين ؟!!.

وفي التوراة نصوص شتّى وفي ملحقات التوراة (كتب الأنبياء المتعددين بعد التوراة) وفي الأناجيل: نصوص كلّها تجعل هذا العهد عهداً مقيّداً، وكلّها تقول: إنّ بني إسرائيل لم يحفظوا العهد، ولم يصونوا التعاليم، ولم يقفوا عند حدوُد الله، لم يأتمروا بأمره ولم ينتهوا بنهيه، بل فعلوا الأفاعيل، وتعدّوا الحدود، ونكثوا العهود، وأخلفوا الوعود، وقتلوا الأنبياء، وهذا ما قاله لهم المسيح: (يا أبناء الأفاعي، يا أبناء قتلة الأنبياء)! هذا هو وصفهم في التوراة والإنجيل، فهم لم يحافظوا علي العهود، ولذلك لا يستحقّون بأيّ وجه من الوجوه ما زعموا أنّ الرب أعطاه لهم.

إنّ اليهود يتمحّكون في هذه الأشياء، وإلاّ ما الذي أسكتهم هذه الدهور من خمس وعشرين قرناً، ثمّ جاءوا اليوم يطالبون بهذا الأمر؟! ما الذي أسكتهم هذه المدّة؟! كلّ ما في الأمر انّهم اعتمدوا على الكيد والمكر، ثمّ على القوة والعنف، فهذه هي الطبيعة الإسرائيليّة.

لقد حاولوا أن يتسلّلوا إلى هذه الأرض عن طريق الرشوة.. عن طريق الحيلة، ثمّ ساعدهم الاستعمار عندما هُدّمت القلعة الإسلاميّة الأخيرة: الخلافة الإسلاميّة، الحصن الذي كان يتحصّن فيه المسلمون، والتي كانت تمثّل آخر تجمّع للمسلمين تحت راية العقيدة (لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله). هُدّمت القلعة التاريخيّة بمكايد اليهود، عندما وجدوا السلطان عبد الحميد لا ينصاع ولا يخضع لإغراءاتهم قالوا: لا بدّ من إزالة هذا السلطان ولا بدّ من إزالة هذه الخلافة. وقد نفّذوا ما أرادوا.

خصائص الطبيعة اليهودية:

نحن نقول: الطبيعة الإسرائيليّة التي نتعامل معها طبيعة سيّئة رديئة خبيثة، فيها آفات ملازمة لها ملازمة السمّ للأفعى.

١ - العنصريّة:

هذه الطبيعة الإسرائيليّة الصهيونيّة طبيعة عنصريّة، يرون أنّهم وحدهم العنصر الممتاز، والشعب المختار الذي اختاره الله دون سائر الشعوب!

قد يقبل ذلك عندما كانوا هم دعاة التوحيد في وسط الوثنيّين، أمّا الآن

وقد تغيّروا وأصبحوا أناساً آخرين يهتمون بالمال والمادّة، ويعبدون الذهب، فلماذا يخُتارون على غيرهم؟!

ليس هذا كما قال القرآن: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ..** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهنا وصف للأمّة لا لشعب من الشعوب، ليس هذا اختياراً للعرب على العجم. الأمّة المسلمة لو دخل فيها الأمريكان أو دخل فيها الانجليز أو دخل فيها البرازيليّون أو دخل فيها أيّ شعب يصبح جزءاً من هذه الأمّة، لأنّها أمّة ذات رسالة. ولكن العنصريّة اليهوديّة عنصريّة عرقيّة ترى أنّ هذا الشعب مميّز يجرى في عروقه دم غير دم الآخرين! هذا ما يقوله هؤلاء عن أنفسهم، فهذه هى العنصريّة الباغية.

وهم يتبجّحون ويقولون للعالم عن كلّ من يقول عنهم شيئاً: إنّ هؤلاء يعادون الساميّة! مع أنّهم هم الآن الذين يعادون الساميّة الحقيقية. هم لم يعودوا ساميّين، لأنّه دخل فيهم عناصر كثيرة، العرب هم الساميّون الحقيقيون، أمّا هم فيعادون الساميّة.

لقد استغلّوا مسألة النازيّة وأنّ (هتلر) أحرق منهم الملايين! وقد تبيّن في عصرنا أنّ هذه أكذوبة كبرى، وصدرت دراسات ورسائل علميّة (دكتورهات) تبيّن أنّ هذه خرافة، وأنّ العدد الذى قاله اليهود عدد مبالغ فيه جداً جداً، ولكنّهم لا يسمحون لأحد أن يقول هذا.

هؤلاء يعادون النازيّة، وهم يجسّدون الآن عنصريّة نازيّة متعالية مغتصبة معادية للعرب وللمسلمين.

أوّل آفاتهم هذه العنصريّة.

٢ - القسوة:

وثانى آفاتهم هي: القسوة. الطبيعة الإسرائيليّة الصهيونيّة طبيعة قاسية، كما قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ [البقرة: ٧٤].

وهذه القسوة كانت عقوبة من الله تعالى لهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً** ..... ﴾ [المائدة: ١٣]، القسوة التي تتمثّل في هذا العنف الذي رأيناه طوال تاريخ اليهود وعلاقاتنا معهم، وفي هذه المذابح التي رأيناها: مذبحة دير ياسين.. بحر البقر.. صبرا وشاتيلا.. مذبحة قانا.. مذبحة النَّفق.. في العام الماضي مذبحة مسجد الخليل، حيث قتل الصُوّم الرُكّع السجود في مسجد الخليل وفي رمضان [١] وفي فجر رمضان. كلّ هذا يمثل تلك القسوة التي لا تبالي بشيء.

٣ - العدوانية :

ثم هي طبيعة تتسم بالعدوانية، العدوان جزء منها، لا تبالي في سبيل تحقيق اغراضها بمن تعتدي عليه، لا تبالي أي دم تسفك، أي عرض تهتك.. أي حرمة تنتهك.. أي شيء تدمر، لأن هذا يمثل أيضا عنصرا آخر وهو ما نسميه:

٤ - اللاّ أخلاقيّة :

اليهود الصهيونيّون الإسرائيليّون من آفاتهم: اللاّ أخلاقيّة.

نحن العرب المسلمين عندنا العنصر الأخلاقي يحكم تصرّفاتنا في السلم والحرب. لا تنفصل الأخلاق عن الحياة، لا علم بلا أخلاق، لا سياسية بلا أخلاق، لا اقتصاد بلا أخلاق، لا حرب بلا أخلاق، حتى الحرب تحكمها الأخلاق: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ [البقرة: ١٩٠]. النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «أخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تعتدوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»[٢] ومن وصايا الخلفاء الراشدين للقواد

---

(١) عام ١٤١٤ هـ.

(٢) رواه أحمد (١/٤٩٣) وأبو يعلى (٢٥٤٩) والطبراني في الكبير (١١/١٧٩) والبيهقي في السنن (١٣/٣٨٥) عن ابن عباس. ورواه أبو داود (٢٦١٤) عن أنس بن مالك. وقد حسن محققو المسند اسناده برقم (٢٧٢٨) طبعة الرسالة.

OBEIKAN.COM

العسكريين: لا تقتلوا وليد ولا شيخاً ولا امرأة ولا تهدموا بناء ولا تقطعوا شجرا»[1]، وهكذا وصايا الخلفاء الراشدين للقوّاد العسكريّين. لذلك نجد الحرب الإسلاميّة حرب رحمة.. حرب عدل، وليست حرب عدوان. لا يقبل الإسلام أبداً مبدأ: الغاية تبرّر الوسيلة. لا، لا بدّ من الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة، ولا نصل إلى الحقّ بطريق الباطل، لا يقبل الإسلام ذلك.

أمّا هؤلاء فالغاية عندهم تبرّر كلّ الوسائل، كلّ شيء مشروع في سبيل الوصول إلى أهدافهم، لا يتقيّدون بدين ولا بعقيدة ولا بشريعة ولا بقيم ولا بأخلاق، يستبيحون الأعراض ويستبيحون الأموال ويستبيحون كلّ شيء، بل يقدّمون أعراض بناتهم ونسائهم في سبيل ذلك على أن غاياتهم أسوأ من وسائلهم.

ولذلك رأينا هذا فيما رأيناه: اعتداءهم على الأخ المجاهد رئيس المكتب السياسي لحماس أخينا خالد مشعل أبو الوليد حفظه الله وعافاه، واستعمال هذه الطرق التكنولوجيّة المتطوّرة.. هذا الجهاز الذي أصابه في أمّ رأسه وكاد يقتله لولا لطف الله عزّ وجلّ: ﴿.. وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

وهم يستخدمون الجوازات المزوّرة وغير ذلك، ويشترون الناس بالأموال من أيّ جنسيّة، ولا يبالون بعهود، رغم المعاهدة بينهم وبين الأردن لم يبالوا بمعاهدة ولم يبالوا باتفاقيّة، ولم يبالوا بشيء في سبيل الوصول إلى ما يريدون، هذا هو شأن هؤلاء اليهود.

٥ - التوسعيّة:

ثمّ من آفاتهم: الأحلام والأطماع التوسعيّة. هم لا يرضون بشيء، إنّهم إذا أخذوا شيئاً بحثوا عن غيره. يمكنهم - تكتيكيًّا أن يقبلوا سلاماً مؤقتاً، ولكن (إسرائيل الكبرى) لا تخرج أبداً من رؤوسهم. وقد كتب ذلك أحد أساتذة

---

(١) رواه البيهقي في السنن (١٣ / ٣٧٤) عن سعيد بن المسيب: هو من وصايا أبي بكر لقادة جيوشه.

الجامعات عندهم في كتاب نشر بالانجليزيّة وترجم لي أحد الإخوة فقرات منه: إنّهم يطمعون في أجزاء من السعوديّة ومن الكويت ومن اليمن ومن لبنان ومن سوريّا ومن مصر حتى الاسكندرية! كلّ هذا في ضمن دولتهم: (إسرائيل الكبرى من الفرات إلي النيل ومن الأرز إلى النخّيل)!

قد يقبلون سياسة المراحل فترة من الفترات، حتى إذا هدأت الأعاصير وسكنت العواصف، خطوا خطوة أخرى. هذا هو ما يريده هؤلاء، هذه آفات ثابتة ومستقرة عند هؤلاء القوم.

لماذا حدثنا القرآن عن طبائع اليهود؟

ولذلك يجب أن نتعامل معهم ونحن نعرف طبائعهم. القرآن حدّثنا عنهم حديثاً مفصّلاً في صور شتّى، لم يحدّثنا عن الفرس، ولم يحدّثنا عن الروم، ولم يحدّثنا عن الأحباش، ولم يحدّثنا عن المصريّين، ولم يحدّثنا عن شعب من الشعوب، كما حدّثنا عن بني إسرائيل، حديثه عن تلك الشعوب كان مجملا. أما حديثه عن بني إسرائيل فكان مفصّلا. لماذا؟ لأنّ الله يعلم أنّ هناك معركة ستكون بيننا وبينهم. فلا بدّ أن نعرف القوم على حقيقتهم، ونتعامل معهم على أساس الواقع لا على أساس الأوهام.

لماذا نقاتل اليهود؟

إنّ المعركة بيننا وبين اليهود – كما قلت وكما أؤكدّ دائماً – ليست من أجل دينهم، نحن لا نحاربهم لأنّهم يهود، فقد كانوا يهوداً وعاشوا بيننا قروناً وقرونا في ظلّ سماحة الإسلام وعدل الإسلام وبرّ الإسلام، وكانت لهم أموال، وكانت لهم ثروات، وكان لهم نفوذ، وكان لهم مناصب، ووصلوا إلى الوزارة في بعض البلاد وكانوا مقرّبين من السلاطين والأمراء والملوك، عاشوا هكذا قروناً لم تقم بيننا وبينهم أيّ معركة. المعركة ابتدأت حينما اعتدوا على أرضنا، حينما طمعوا في أرضنا، حينما أرادوا أن يخُرجوا أهل فلسطين من ديارهم، ويسكنوها بدلاً عنهم، ويرثوا الأرض من أهلها وهم أحياء. حينما أرادوا ذلك قامت المعركة بيننا وبينهم.

لا نقاتلهم لأنّهم يهود، ولا نقاتلهم لأنّهم إسرائيليّون، ليكونوا عنصريّين أو ليذهبوا إلى الجحيم. نحن لا نقاتلهم لا من أجل عنصريتّم ولا من أجل عقيدتهم، إنّما نقاتلهم وسنظلّ نقاتلهم من أجل حقّنا في أرض فلسطين.. الحقّ الذي اغتصبوه وما زالوا يغتصبونه ويصرّون عليه، ويريدون مزيداً من اغتصاب الحقوق يوماً بعد يوم.

لم يكفهم أن قسّموا القدس إلى غربيّة وشرقيّة، وأخذوا الغربيّة وتركوا الشرقيّة، الآن يريدون القدس الشرقيّة ويحيطونها بالمستوطنات ودخلوا فيها نفسها، هذا الاحتلال الذي فعلوه في (رأس العمود) هذا دخول في قلب القدس، بل في مقابلة المسجد الأقصى نفسه.

من أجل هذا نقف ضدّ إسرائيل والصهيونيّة، نقف ضدّ الاغتصاب وضدّ العدوان، ولا نتسامح أبداً في أرضنا، لا نتسامح في حقّنا، إنّ من فرّط في أرضه أوشك أن يفرّط في دينه، وأهله وعرضه، ونحن لا نفرّط في شيء من ذلك.

سنظلّ نذود عن كرامتنا، وندافع عن مقدّساتنا، ما بقيت فينا عين تطرف، ما بقي فينا روح يسري، ما بقي فينا دم يجري. سنظلّ ندافع عن هذه الحقوق والمقدّسات، ونحن أصحاب الحق، نعتقد أنّ الحقّ معنا، والحقّ لا يمكن أن يُهزم باستمرار، المهمّ العاقبة ﴿**وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف:١٢٨، طه: ١٣٢، القصص: ٨٣].

إنّ الحق لا بدّ أن ينتصر لأنّ الله هو الحقّ المبين: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**..﴾ [الأنبياء: ١٨]. إنّ الله سبحانه وتعالى هو الحق، وسينصر الحقّ وأهله.

سنظلّ نحمل الراية، ولن تسقط الراية أبداً ما دام هناك مؤمنون صادقون مصرّون على الجهاد والرباط، كإخواننا من أهل (حماس) وأهل (الجهاد) ومن ناصرهم من أبناء فلسطين. ما دام هؤلاء قائمين فإنّ الله سبحانه وتعالى آخذ بأيديهم، وناصرهم على عدوّهم، وفاتح لهم فتحاً مبينا، وهاديهم طراطاً مستقيما، وناصرهم نصراً عزيزا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

● **الخطبة الثانية:**

تحية لرموز الجهاد الفلسطيني:

أمّا بعد: فمن فوق هذا المنبر أوجّهها تحية خالصة، تحية إعجاب وتقدير وإكبار، لذلك الشيخ الجليل، الشيخ القعيد، الذي يتحرّك على كرسي ولا يستطيع الوقوف على رجليه، شيخ حماس، مؤسّس الحركة الإسلاميّة.. حركة المقاومة الإسلاميّة، مؤسّس العمل الجهادي في فلسطين: الشيخ أحمد ياسين.

أوجّه هذه التحيّة إلى ذلك الشيخ الصابر المصابر المرابط المجاهد القعيد في كرسيّه، الذي زلزل أركان العتو والطغيان والعدوان في إسرائيل، رغم قعوده ورغم زمانته، ورغم مرضه، فقد كان مخوفاً عندهم. كانوا يخافون هذا الشيخ القعيد.. الشيخ الزمن.. الشيخ الذي لا يستطيع أن يتحرّك.. الشيخ الذي أصابته الأمراض، وأحاطت به الأدواء من كلّ جانب، كانوا يخافونه ويخشونه، لأنّ المرء ليس بجسمه ولكن بقلبه، الإنسان ليس هو هذا الهيكل.. ليس هو هذا الجسم، فقد قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ**..﴾ [المنافقون: ٤]، وقال العرب: ترى الفتيان كالنّخل وما يدريك ما الدخل؟!

كان عبد الله بن مسعود رجلاً قصير القامة نحيف الجسم، نحيل القوام، وقد صعد يوماً على شجرة فظهرت ساقاه نحيفتين نحيلتين هزيلتين، فضحك بعض الصحابة من دقّة ساقيه، فنظر إليهم النبي ﷺ وقال لهم: «ما تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد»[1].

الرجال ليسوا بالقامة بل بالقيمة، الرجال ليسوا بالأجسام بل بالأحلام، ليسوا بالأشباح بل بالأرواح، ليسوا بالكمّ بل بالكيف.

---

(١) أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أمّ موسى - أي راوية الحديث - وهي ثقة. وأورده الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال: اللفظ المرفوع منه أخرجه أحمد بسند حسن. انظر (الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأماني: ٢٢/٣١٢ برقم ٢٩٩٠).

OBEIKAN.COM

تحيّة إلى هذا الشيخ الذي لم يمدّ يديه يطلب الإفراج، لم يمدّ يديه إلى إسرائيل، لم يحن هامته ذُلاً لهم، ولكنّه صبر على بلائه، وبقي في سجنه كالأسد الهصور، حتى جاءه هذا الإفراج. وحينما جاءه هذا الإفراج قال: إنّه لا يرضيني إلاّ أن يفرج عن جميع المعتقلين والأسرى في سجون إسرائيل! وقال: إنّ هذا لا يعني أن يقف الجهاد، سيظلّ الجهاد مستمراً ومرفوع اللّواء حتى نحرّر فلسطين كلّ فلسطين. وقد قال لمن زاروه: إنّ السلطة الفلسطينيّة فعلت في هذه الأيّام ما لم تفعله إسرائيل خلال سنواتها الماضية، استجابت لدعوة إسرائيل بضرب البنى التحتيّة لقُوى الجهاد، فأغلقت ست عشرة جمعيّة خيريّة إسلاميّة من مؤسّسات حماس!

لماذا تغلق الجمعيّات الخيريّة والمؤسّسات التربويّة؟ لأنّ إسرائيل طلبت ذلك! إسرائيل كلّ ما تريده الآن أن يضرب الجهاد الذي تسمّيه الإرهاب، أن يضرب الجهاد وألاّ تبقى له باقية ولا تقوم له قائمة. هي تعربد وتصول يميناً وشمالاً ولا تريد لأحد أن يردّ عليها، وليست هي إرهابيّة، لكن الذي يدافع عن وطنه وعن شرفه وعن أهله وعن حقّه وعن مقدّساته هو إرهابي!!

ما كنّا نريد للسلطة الفلسطينيّة أن تستجيب لطلبات اليهود، ولن يرضي ذلك اليهود، لن يرضيهم ما فعلت، لا يرضيهم إلاّ أن تستولي على القدس وأن تصبح القدس لهم.

تحيّة إلى الشيخ أحمد ياسين، وتحيّة إلى الأخ المجاهد الصابر المصابر المخطّط – مع إخوانه – خالد مشعل أبي الوليد، الذي يفكّر برأسه، ولذلك أراد اليهود أن يضربوا هذا الرأس المفكّر، أن يضربوه بهذا الجهاز القاتل.. بتلك الأشعّة وتلك المواد الكياويّة، ولكنّ الله حفظه ﴿ .. **فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف: ٦٤]

تريد إسرائيل أن تقول: إنّ ذراعي طويلة، وإنّ يدي يمكن أن تمتدّ لكل من يمسّ إسرائيل بسوء. ونقول لإسرائيل: إنّ الله فوق تدبيرها، ومكر الله أعظم من

مكرها، وكيد الله أقوى من كيدها ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ [الطارق : ١٥ – ١٧] .

نحمد الله على سلامة أخينا خالد حفظه الله وأبقاه، وحفظ إخوانه حتى يعيدوا الحق إلى نصابه، حتى يؤدّبوا الطغاة المعتدين، ويعلموهم أنّ في هذه الأمّة رجالاً وأنّ في الزوايا خبايا .

رثاء الشيخ محمود شاكر :

ودعاءً بالمغفرة والرحمة أوجّهه من هذا المنبر إلى شيخين جليلين توفّيا في هذا الصيف :

أحدهما : العالم الجليل الشيخ محمود محمّد شاكر، أحد علماء الأمّة الأفذاذ، وأحد علماء اللغة الأثبات، وأحد المحققين الثقات – الذي يشكّل مع أخيه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله مدرسة متميزّة في تحقيق نصوص التراث – وأحد الأدباء المعتبرين، وأحد الأقلام التي نصبت نفسها للدفاع عن الإسلام وأمّة الإسلام وحضارة الإسلام وثقافة الإسلام والعربيّة، وقف ضدّ دعاة التغريب والتبعيّة . وترك وراءه تراثا أدبيا علميا : المتنبى، وأباطيل وأسمار، الطريق إلى ثقافتنا تحقيق وتفسير الطبرى، وغيرها .

هذا الرجل الذى تتلمذ على يديه كثير من الأدباء وكبار الرجال، مات ولم يكد أحد يتحدث عنه . صحافتنا وإذاعاتنا وتلفازاتنا التي أخذت الساعات الطوال بل الأيّام، تتحدث عن (ديانا) و (دودى) وكأن مصيبة حدثت في العالم، امرأة ماتت ولها أخطاؤها وخطاياها ولا نتحدّث عن ذلك، ويكفي أنّها باحت وتبجّحت وتحدثت عن خيانتها لزوجها علنا وفي الإعلام، كان يكفي أن يكون هذا فضيحة لها، الغرب لا يهمّه ذلك، واليهوديّة العالمية تريد ذلك، وبرتوكولات حكماء صهيون تريد ذلك، تريد أن لا يكون للخيانة الزوجيّة . . جريمة الزنا . . لهذه الأشياء، ألاّ يكون لها وقع في نفوس النّاس، وأن يتقبّل الناس هذا بصدر رحب وبسماحة وبسهولة . ولذلك فعل الإعلام العالمي الذي يوجّهه اليهود في كثير من البلدان ما فعل .

والعجيب أنّ إعلامنا نحن العرب سار في هذا الركاب، وقال ما قال، وظلّ يتحدّث ويحكى ويحكى. هذا ما حدث ولا زال إلى اليوم.

هل هذا الإعلام الذي تحدّث عن (ديانا) و (دودى) تحدّث بشيء عن الشيخ محمود شاكر؟ من منكم يعرف الشيخ محمود شاكر؟ لا تعرفونه، لأنّ الإعلام لم يتحدث عنه، ليس رجلاً من رجالات الإعلام، ليس ممّن تُسلّط عليه أضواء الصحافة.

رحم الله الشيخ محمود محمّد شاكر، وتقبّله في الصالحين، وجزاه عن دينه وعن أمّته خير ما يجزى به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين.

رثاء الشيخ عنتر حشّاد:

ومات أيضاً بعد الشيخ شاكر رجل تعرفونه جميعاً هنا في قطر: الشيخ عنتر حشّاد، رجل القرآن.. رجل التوحيد.. رجل العربية.. رجل العلم المتمكّن، الذي عهدناه في هذا المسجد وفي غيره رجل صدق ورجل دعوة.

مات الشيخ عنتر حشّاد في مصر، وكنت في مصر ولم أعرف ذلك إلاّ بعد أن رجعت إلى هنا، وقالوا: هل سمعت بموت الشيخ عنتر؟ قلت: لا، والله ما سمعت. أنا كنت في مصر وفي مدينة نصر التي يسكن فيها الشيخ عنتر، وما سمعت هذا.

هكذا يموت العلماء، وهكذا يموت الدعاة، ولا يكاد أحد يسمع لهم ذكرا. ولكن الآخرين من أهل الفن وأهل الطرب وأهل الغناء وأهل التمثيل، هؤلاء هم نجوم المجتمع! هؤلاء هم الكواكب اللاّمعة في سماء المجتمعات! إذا حدث لأحدهم أن شاكته شوكة.. دخلت في أصبعه شوكة، تحدّثت الصحف عن الشوكة التي أصابت ذلك الفنّان! إذا حدث له أيّ شيء، وإذا مات قامت الدنيا ولم تقعد.

حتى إنّه من أثر هذه الضّجّة الإعلاميّة التي تصاحب موت واحد أو واحدة من هؤلاء. كثيراً ما نرى انتحارات! نرى فتاة ترمي نفسها من طابق أعلى فتندقّ عنقها، حزناً على تلك المطربة أو ذلك المطرب أو ذلك الممثّل، وهكذا.

نحن للأسف في عصر يصنع الإعلام فيه الأفكار والأذواق والمواقف والأعمال، وإعلامنا للأسف لا يرتبط بقيمنا، ليس مقيّداً بعقيدتنا وشريعتنا، إلاّ من رحم ربك، وقليل ما هم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرحم موتانا، وأن يغفر للعلماء العاملين، وأن يجزيهم عنّا وعن المسلمين خير ما يجزي به الصادقين.

اللهم هيّىء لنا من أمرنا رشدا، اللهم لا تكلنا إلى إنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك. اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام. اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم،. وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين. اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين. اللهم انصر اخوتنا في فلسطين وفي لبنان، وفي كشمير وفي السودان، وفي الفلبين وفي سائر بلاد الإسلام. اللهم أنقذ إخوتنا المستضعفين والمعتقلين، اللهم افكك بقوّتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتولّ بعنايتك أمرهم. اللهم اجعل بلدنا هذا بلداً مطمئنّا آمناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿ . . **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ . . **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *